علي محمد علي دخيّل



أصحاب الحسين عليه السلام

نظرة جديدة

- حبيب بن مظاهر الأسدي
- مسلم بن عوسجة الأسدي
- جنادة بن كعب الأنصاري
- عابس بن أبي شبيب الشاكري
- زهير بن القين البجلي
- الحرّ بن يزيد الرياحي
- جون مولى أبي ذر الغفاري

دار المرتضى

أصحاب الحسين عليه السلام

نظرة جديدة

علي محمد علي دخيّل

دار المرتضى

طباعة، نشر، توزيع
بيروت لبنان، ص.ب ١٥٥/٢٥ الغبيـري
تلفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
مكتبـة: ٠٠٩٦١١٢٧٩٥٥٧
خليوي: ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing - publishing - Distributing
Lebanon - Beirut
PO Box: 155/25 Ghobiery
Tel-Fax: 009611840392
Mobile: 0096170950412
E-mail:mortada14@hotmail.com
Printed In Lebanon

يُطلب هذا الكتاب وبقية منشورات
الدار من مكتبة القائم
العراق - بغداد - الكاظمية المقدسة - باب المراد
تلفون: ٠٠٩٦٤٧٩٠١٩٩٢٧٢٠

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هجريـة
٢٠١٦ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح وضّاءة عن أصحاب الحسين عليه السلام

إنّ أصحاب الحسين عليه السلام كانوا القِمة العليا من رجالات الإسلام، فهم بين صحابي سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وشهد حروبه، وبين تابعي تخرّج من مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام، أضف إلى ذلك ما تميّزوا به من العلم، والمكانة الاجتماعية، فقد كانوا رضوان الله عليهم فرسان المسلمين وشجعانهم، ورؤساء عشائرهم.

أُقدم في هذه السلسلة تراجم بعض أصحاب الحسين عليه السلام معتقداً أنهم أفضل شهداء هذه الأمة بعد شهداء أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ونفر قليل من كبار صحابة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

إن التاريخ الإسلامي حافل بشهداء الإسلام منذ العصر الأول، ومن حين البعثة، ولكن الفارق بينهم وبين أصحاب الحسين عليه السلام كبير.

ولنأخذ مثلاً أصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهم وإن بذلوا النفس والنفيس، وقابلوا جحافل الشرك، وجموع الضلالة، ولكنّهم كانوا يتأرجحون بين الشهادة والنصر، بينما أصحاب الحسين عليه السلام لم يكن أمامهم سوى الموت، فقد خطبهم الإمام الحسين عليه السلام صبيحة يوم عاشوراء قائلاً: (إن الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر)[1].

---

(١) كامل الزيارات: ص٧٣.

وفارق آخر بين أصحاب الرسول ﷺ وشهداء الطف: فأولئك كان جبريل عليه السلام والملائكة في نصرتهم، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]، وأصحاب الحسين عليه السلام قد أُخذت عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء ـ كما تقول العقيلة ـ.

ملء القفار على ابن فاطمة جنـ ـد وملء قلوبهم ذحل

بجحافل بالطف أولها وأخيرها بالشام متصل

وفارق ثالث: فقد كان القرآن الكريم يلاحق الفارّين من القتال وينكّل بهم أعظم تنكيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾[2].

أما أصحاب الحسين عليه السلام فقد أذن لهم بالانصراف مراراً، وأنّهم في حلٍّ من بيعته، لكنهم كانوا مصرّين على الشهادة بين يديه.

ففي (زبالة) ـ موضع بين مكة والكوفة ـ أخرج الإمام الحسين عليه السلام للناس كتاباً فقرأه عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام[3].

وحتى في ليلة عاشوراء خطبهم الحسين عليه السلام قائلاً: إنّ القوم يطلبوني، ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري؛ وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي.

وأجابوا: لِمَ، لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك؛ وأكثر من هذا:

فقد قام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخلّي عنك، وبما نعتذر إلى

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٣) جلاء العيون: ٢/١٥٢.

الله في أداء حقك؟! أما والله حتى اطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يك معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة؛ والله لا نخليك حتى يعلم الله أنَّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو قد علمت أني أُقتل، ثم أحيى، ثم أحرق، ثم أُحيى ثم أُذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين رحمة الله عليه فقال: والله لوددت أني قتلت، ثم نشرت ثم قتلت، حتى أُقتل هكذا ألف مرة وإن الله عزَّ وجلَّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك. وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فجزاهم الحسين عليه السلام خيراً(١).

فقد كان تصميمهم على الموت واستبشارهم بالشهادة بشكل لم يعهد في جيش من جيوش الإسلام، ولم يكن هذا منهم من قبيل الصدفة بل كان صدىً لعقيدة راسخة وولاء صادق، وقدم ثابتة في الإيمان والجهاد. فقد كانوا رضوان الله عليهم صفوة البشرية يومئذ، وسادة المسلمين، فهم كما مرّ عليك بين صحابي سمع حديث الرسول صلى الله عليه وآله ووعاه، وبين تابعي تجلّت له الحقيقة، وجلّهم حضر مشاهد أمير المؤمنين عليه السلام وحروبه، أضف إلى ذلك منزلتهم الاجتماعية، فهم زعماء المسلمين وفرسانهم، وعلماء الأمة وجهابذتهم، وسادة الناس؛ بهذا وغيره فضّلوا على جميع الشهداء. ويكفي في تفضيلهم قول الإمام الحسين عليه السلام لهم: فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً(٢).

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٣١.
(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٣١. وبقية كتب المقاتل.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة التي علّمها لصفوان الجمال:

السلام عليكم يا أولياء الله وأحبّاءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه، السلام عليكم يا أنصار دين الله، السلام عليكم يا أنصار رسول الله، السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين، السلام عليكم يا أنصار فاطمة سيدة نساء العالمين، السلام عليكم يا أنصار أبي محمّد الحسن بن علي الزكي الناصح، السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله، بأبي أنتم وأُمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم فوزاً عظيماً، فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم[١].

هذه شهادة أوليائهم في فضلهم وهناك شهادة أُخرى لأعدائهم في فضلهم، وقديماً قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء.

فقد قال عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ قائد الميمنة لابن سعد ـ لأصحابه: أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مُستميتين[٢].

وقال شبث بن ربعي ـ قائد الرجالة لابن سعد ـ وقد سمع استبشار أصحابه بمقتل مسلم بن عوسجة: ثكلتكم أُمهاتكم، إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلون أنفسكم لغيركم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟! أما والذي أسلمت له لرب موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تُتام خيول المسلمين، أفيقتل مثله وتفرحون[٣]؟!.

وجدير بهم بعد هذا وذاك أن تُقرأ حياتهم مختصرة، فتكون دروساً للأمة ومنهجاً للرشاد.

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٤٣٠. وجميع كتب الأدعية والزيارات.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩٦. وبقية كتب المقاتل.

(٣) إبصار العين: ص٧٤.

وبقي أمر يجب التنبيه عليه؛ وهو إنّا كتبنا هذه الكتيبات، وطبعت متفرّقة، على شكل كراسات، وترجمت إلى اللغة الفارسيّة، ثم عدنا لجمعها في كتاب مستقل طبع ـ ولله الحمد ـ مراراً؛ لهذا تجد لكل كتاب مقدّمة، ونهاية مطاف، وهي مع هذا التكرار لا تخلو ـ إن شاء الله ـ من فائدة.

أخذ الله بأيدينا جميعاً لما فيه الخير والصلاح.

علي محمّد علي دخيل

حبيب بن مظاهر الأسدي

رضوان الله عليه

الإهداء

يا رسول الله

يشرفني أن أُقدم إليك هذه الصفحات مستعرضاً فيها حياة مجاهد عظيم من أمّتك، ونصير مخلص لسبطك الشهيد، مؤمّلاً يا سيدي منك القبول.

عبدك

علي محمّد علي دخيِّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

للشهيد حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه جوانب كثيرة حريّة بالدرس، جديرة بالبحث:

فهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحملة علومه، وعداده مع ميثم التمار، ورشيد الهجري وأشباههم، الذين يعبّر عنهم بحواريِّي أمير المؤمنين عليه السلام، تشبيهاً لهم بحواريِّي عيسى عليه السلام، لانقطاعهم إليه، وتلمذهم عليه.

وهو في الرعيل الأول من علماء المسلمين، وحملة القرآن الكريم.

وهو زعيم قبليّ كبير، يكاد لا ينافس في زعامة بني أسد.

وهو زعيم أصحاب الحسين عليه السلام، وقائد الميسرة، ويكاد لا يختلف إثنان في أنه أفضل شهداء كربلاء بعد شهداء أهل البيت عليهم السلام.

ولعلنا نوفق في هذا الكتاب لاستعراض بعض هذه الجوانب وغيرها.

ومن الله سبحانه التوفيق.

الشهيد في سطور

* أبوه: مظاهر ـ أو مظهر ـ بن رئاب بن الأشتر بن جخوان بن فقعس ابن طريف بن عمرو بن قيس بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد.

* من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأصفيائه.

* شهد حروب الإمام عليه السلام.

* له رتبة علميّة سامية.

* زعيم بني أسد.

* كان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام وهو في مكة المكرمة.

* أفضل أنصار الحسين عليه السلام ما عدا الهاشميِّين.

* له مواقف مشهودة في كربلاء.

* جعله الحسين عليه السلام قائداً على الميسرة.

* حمل بعد الزوال فقتل اثنين وستين رجلاً ثم استشهد.

* عمره خَمس وسبعون سنة.

* ابنه القاسم قتل قاتل أبيه.

* قبره في رواق حرم الحسين عليه السلام، منفصل عن قبول الشهداء؛ يزدحم المسلمون لزيارته والسلام عليه.

جيش الحسين عليه السلام

وجيش الحسين عليه السلام على قلته يضم بقايا أهل البيت عليهم السلام، وعدداً من الصحابة، وشيوخ التابعين، وحملة القرآن الكريم، وجمهور علماء المسلمين، بينما يتألف جيش أعدائه من جفاة الكوفة وأعرابها، وبعض الخوارج والملاحدة، وشرط بني أُميّة، وأبناء البغايا.

حقاً إنّ واقعة كربلاء من عجائب الدنيا، فقد استطاع ابن مرجانة وحفيد سميّة الزانية أن يجمع في ليلة وضحاها جيشاً جرَّاراً من الكوفة وحدها ـ عاصمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ ممّن ذكرناهم، يقاتل به سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، وبقايا الصحابة والتابعين، وأجلّاء علماء المسلمين، والمنظور إليهم، وخيرة المتهجّدين بالأسحار.

مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

قابل بنو إسرائيل عيسى عليه السلام بعنف وشدّة، وآذوه بكل ما أُوتوا من حول وقوة، معرضين عن المعاجز الكثيرة التي ظهرت على يديه؛ ولبّى دعوته عدد قليل سمُّوا بـ(الحواريِّين) فكان عليه السلام ينتقل بهم هرباً من اليهود، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١].

واستعمل لفظ (الحواريِّين) على القلة المؤمنة التي تختص بالزعيم المؤمن. وقد ذكر المؤرِّخون جماعة من الصحابة، والتابعين من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أطلق عليهم لفظ الحوارِيِّين، وهم: عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمّد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار، وأويس القرني[٢]. وقد يطلق على هؤلاء وغيرهم بـ (الأصفياء).

قال الشيخ المفيد: ومن أصفياء أصحابه ـ يريد أمير المؤمنين عليه السلام ـ عمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي ومحمّد بن أبي بكر[٣].

فحبيب رضوان الله عليه من هذه الطبقة العالية، ومن الغريب أن ينجو

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.
(٢) سفينة البحار: ج١، ص٣٥٦.
(٣) الاختصاص: ص٢.

من المغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه وهما هما في استقصائهما واستئصالهما أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والفتك بهم، ولعل شخصيته وزعامته كانت السبب في حمايته.

لازم حبيب الإمام عليه السلام طيلة خلافته، وتخرّج من مدرسته الكبرى، وحمل عنه علوماً جمّة، ويكفي في فضله أن يكون عداده مع هؤلاء الأجلاء، وهم سادة المسلمين علماً وعملاً.

كما صحب من بعده الإمام الحسن عليه السلام، فقد عده البرقي من أصحابه.

وصحبته لسيد الشهداء عليه السلام ظاهرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

عبادته

وأصحاب الحسين عليه السلام من سنخ خاص، ومدرسة مثالية، تميّزوا عن الناس بالإيمان الصادق، والولاء لأهل البيت عليهم السلام، والعبادة؛ وإذا تصفحت أخبارهم في كتب السِّيَر والتاريخ وجدت كلام المؤرِّخين في وصف الكثير منهم: كان عابداً ناسكاً، كان قارئاً للقرآن، كان يختم القرآن في ليلة. . . إلى أمثال هذه الكلمات.

وحتى ليلة عاشوراء فقد كان لهم دويٌّ كدويِّ النحل ما بين راكع، وساجد، وقائم، وقاعد[1].

ولعل هذا المشهد من أسباب هداية بعض جنود عمر بن سعد، والتحاقهم بجيش الحسين عليه السلام؛ فقد ذكر السيد ابن طاووس رحمه الله: فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد إثنان وثلاثون رجلاً[2].

على أن هذه العباداتِ ـ مهما عظمت وجلَّت ـ تقصر عن عبادتهم في ذلك اليوم الرهيب، وإقدامهم على الموت، وجودهم بالنفس وهو أقصى غاية الجود، فرضوان الله عليهم أجمعين.

وفي الحديث عن عبادة حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه؛ قال

---

(١) اللهوف: ص٤٠. وبقية كتب المقاتل.

(٢) اللهوف: ص٤٠. وذكر ذلك ابن عساكر في (تاريخ دمشق الكبير) وغيرهما. بل هو مما أجمع عليه أهل السير

الكاشفي: كان يحفظ القرآن كله، وكان يختمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر[١].

وأعظم من هذا كلمة الإمام الحسين عليه السلام وقد وقف على مصرعه: رحمك الله يا حبيب فقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة[٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[٣].

---

(١) أعيان الشيعة: ج٢٠، ص٦٩. عن روضة الشهداء.
(٢) حبيب بن مظاهر للمظفّر: ص١١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

تعلُّم وتعليم

إنّ بعض الكتّاب اتّهم الشيعة في نسبتهم علم الغيب إلى الأئمَّة عليهم السلام معتمدين على التهريج، مجانبين للحقيقة.

وتفصيلاً للموضوع: فهناك غيب استأثر الله به سبحانه لنفسه لم يُطلع عليه أحداً من خلقه ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1]، وهناك غيب أطلع الله سبحانه عليه أنبياءه ورسله ليكون معجزاً لهم، وداعياً لإيمان الناس بهم ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، وقد أجمعت الأمة على حديث الإمام أمير عليه السلام (علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب)[3]، فما ورد عنه عليه السلام من إخبار بالمغيبات والملاحم والفتن، هو ممّا علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وورث الأئمَّة عليهم السلام هذا العلم فيما ورثوه عن أبيهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى قالوا: إنها الصحيفة بخط علي بن أبي طالب عليه السلام، وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، نتوارثها صاغراً عن كابر[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٧.

(٣) علي والوصيَّة: ص٦٧، عن مصادر كثيرة، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٤٤. الإرشاد: ص٢٣، بلفظ مقارب، عرائس المجالس: ص٤٢٠، الخصال: ص٦٠٥. بعدّة طرق، وغيرها كثير.

(٤) مروج الذهب: ج٤، ص١١٤.

ولم يقتصر تعليمه ببعض هذه المغيبات لأولاده بل ربما خصّ عليه السلام بها بعض شيعته لمصالح علمها؛ فقد أخبر عليه السلام جماعة من أصحابه بشهادتهم، ومن يتولّى قتلهم من الظالمين، وحبيب من أولئك النفر الذين خصّهم عليه السلام ببعض هذه العلوم.

روى الكشي عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد؛ فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيّه عليهم السلام، يبقر بطنه على الخشبة.

فقال ميثم: واني لأعرف رجلاً أحمر، له صفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه فيقتل، ويجال برأسه بالكوفة.

ثم افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رشيد: رحم الله ميثما ونسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم.

ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر، قد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كل ما قالوا[(١)].

---

(١) رجال الكشي: ص٧٤.

رسالة الحسين عليه السلام

لما عزم الحسين عليه السلام على الثورة أخذ يمهّد لها بالخطب مرة، وبدعوة بعض رجالات المسلمين أُخرى، فقد بثّ رسله لدعوة من يتوسّم فيهم الاستجابة إلى نصرته ومؤازرته، حتى قتل له عليه السلام أكثر من رسول.

ومن أولئك النفر الذين راسلهم عليه السلام، ودعاهم إلى نصرته: حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه، وكتابه عليه السلام إلى حبيب يصوّر لنا شخصية حبيب وسموّ مقامه عند أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وشهادة سيد الشهداء عليه السلام له بالفقاهة.

ذكر الشيخ الدربندي رحمه الله الرسالة التالية:

من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أما بعد، يا حبيب، فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغيرة فلا تبخل علينا بنفسك، يجازيك جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة(١).

---

(١) أسرار الشهادة: ص٣٩٠.

في طريق الإصلاح

كانت لأصحاب الحسين عليه السلام أشواط كبيرة في سبيل الدعوة إلى الإصلاح والهداية، فلم يكن من السهل عليهم أن تضل أمة كبيرة من الناس عن طريق الحق ونهج الرشاد، لذا، فقد جهدوا في بذل النصح، والدعوة إلى الله سبحانه بكل ما تمكنوا، متوسِّلين بذلك بالخطب وغيرها.

وقد أثمرت جهودهم فقد انحاز إلى أصحاب الحسين عليه السلام من أهل الكوفة عدد غير قليل، كما انصهر آخرون بالدعوة الحسينيَّة ولكن حيل بينهم وبين النصرة.

إنّ خطب أصحاب الحسين عليه السلام ومواعظهم لأهل الكوفة سجلها التاريخ بمداد من ذهب، وهي لا تزال تنير في عالم الجهاد، ونصرة الحق، وناهيك بخطب تهز الجيل الحاضر وقد مرّ عليها أربعة عشر قرناً.

وبين أيدينا مواقف إصلاحية للشهيد حبيب بن مظاهر، نسجّل منها:

١ ـ فبعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الأحمسي، فقال: ائته فسله ما الذي جاء به وماذا يريد، وكان عزرة ممّن كتب إلى الحسين فاستحيى منه أن يأتيه، فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه فكلهم أبى وكرهه، وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي وكان فارساً شجاعاً ليس يرد وجهه شيء فقال: أنا أذهب إليه والله لئن شئت لأفتكنّ به؟

فقال عمر بن سعد: ما أريد أن يفتك به، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به.

فأقبل إليه، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: أصلحك الله أبا

عبد الله، قد جاءك شر أهل الأرض، وأجرأه على دم وأفتكه، فقام إليه فقال: ضع سيفك.

قال: لا ولا كرامة، إنما أنا رسول، فإن سمعتم منّي أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم.

فقال له: فإنّي آخذ بقائم سيفك، ثم تكلّم بحاجتك.

قال: لا والله لا تمسّه.

فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه، فإنّك فاجر.

فاستبّا، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.

فدعا عمر قرة بن قيس الحنظلي فقال له: ويحك يا قرة! إلق حسيناً فسله ما جاء به، وماذا يريد؟

فأتاه قرة بن قيس فلما رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة، تميمي، وهو ابن أُختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي وما كنت أراه يشهد هذا المشهد.

فجاء حتى سلّم على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه.

فقال له الحسين: كتب إليّ أهل مصركم ـ هذا ـ أن أقدم، فأما إذا كرهوني فأنا أنصرف عنهم.

ثم قال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرّة بن قيس! أنّى ترجع إلى القوم الظالمين، انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معك.

فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرىٰ رأيي[١].

٢ ـ ونهض ابن سعد عشية الخميس لتسع خلون من المحرَّم ونادى في عسكره بالزحف نحو الحسين؛ وكان الإمام الحسين عليه السلام جالساً أمام بيته،

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٣٤.

محتبياً بسيفه، وخفق برأسه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّك صائر إلينا عن قريب.

وسمعت زينب أصوات الرجال، وقالت لأخيها: قد اقترب العدو منّا.

فقال لأخيه العبّاس: اركب بنفسي أنت حتى تلقاهم واسألهم عمّا جاء بهم، وما الذي يريدون.

فركب العبّاس في عشرين فارساً، فيهم زهير، وحبيب، وسألهم عن ذلك قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب.

فانصرف العبّاس عليه السلام يخبر الحسين بذلك، ووقف أصحابه يعظون القوم.

فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه وقد قتلوا ذريّة نبيّه، وعبّاد أهل هذا المصر المتهجّدين بالأسحار، الذاكرين لله كثيراً.

فقال له عزرة بن قيس: إنّك لتزكّي نفسك ما استطعت.

فقال زهير: يا عزرة، إن الله قد زكّاها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإنّي لك من الناصحين. أُنشدك الله يا عزرة أن لا تكون ممّن يعين أهل الضلالة على قتل النفوس الزكية... إلخ[1].

٣ ـ إنّ حبيباً لما وصل إلى الحسين عليه السلام، ورأى قلّة أنصاره، وكثرة محاربيه، قال للحسين عليه السلام: إن هاهنا حيّاً من بني أسد، فلو أذنت لي لسرت إليهم ودعوتهم إلى نصرتك، لعل الله أن يهديهم ويدفع بهم عنك؟

فأذن له الحسين عليه السلام، فسار إليهم حتى وافاهم، فجلس في ناديهم ووعظهم، وقال في كلامه: يا بني أسد، قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين، وابن فاطمة بنت رسول

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٥٦.

الله ﷺ، قد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعوه، وتحفظوا حرمة رسول الله ﷺ فيه، فوالله لئن نصرتموه ليعطينّكم الله شرف الدنيا والآخرة، وقد خصصتكم بهذه المكرمة لأنكم قومي وبنو أبي، وأقرب الناس منّي رحماً.

فقام عبد الله بن بشير الأسدي وقال: شكر الله سعيك يا أبا القاسم، فوالله لجئتنا بمكرمة يستأثر بها المرء الأحبّ فالأحبّ؛ أمّا أنا فأوّل من أجاب.

وأجاب جماعة بنحو جوابه فنهدوا مع حبيب، وانسلّ منهم رجل فأخبر ابن سعد، فأرسل الأزرق في خمسمائة فارس، فعارضهم ليلاً ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلما علموا أن لا طاقة لهم بهم تراجعوا في ظلام الليل، وتحولوا عن منازلهم، وعاد حبيب إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما كان، فقال عليه السلام: وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله[١].

٤ ـ روى أبو مخنف أن الحسين عليه السلام وعظ القوم بخطبته التي يقول فيها: أما بعد فانسبوني من أنا، وانظروا . . . إلخ، اعترضه شمر بن ذي الجوشن فقال: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول[٢].

فقال حبيب: أشهد أنك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنك لا تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم عاد الحسين عليه السلام إلى خطبته[٣].

---

(١) إبصار العين: ص٦٧.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ سورة الحج، آية ١١. قال الطبرسي في مجمع البيان: ج٧، ص٧٥ أي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف، أي طرف حبل أو نحوه عن علي بن عيسى قال: وذلك من اضطرابه في طريق العلم إذ لم يتمكن من الدلائل المؤدية إلى الحق، فينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلها. وقيل: على حرف: أي على شكّ، عن مجاهد. وقيل: معناه: أنه يعبد الله بلسانه دون قلبه.

(٣) إبصار العين: ص٦٨.

الشهادة

لما زحف ابن سعد نحو الحسين عليه السلام عصر تاسوعا، أرسل عليه السلام إليهم أخاه العبّاس وقال له: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنا العشيّة لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار(١).

فكان للحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة دويٌّ كدويِّ النحل بين قائم، وقاعد، وراكع، وساجد(٢).

وأصبح الصباح، وصلى عليه السلام بأصحابه، ثم خطبهم قائلاً: إن الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر(٣).

وعند الزوال، وبعد أن قتل أكثر جيش الحسين عليه السلام قال أبو ثمامة الصائدي للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأُحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها.

فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلِّين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها.

ثم قال عليه السلام: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي.

---

(١) الإرشاد: ص٢٣٠.
(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٦٣. وبقية كتب المقاتل.
(٣) كامل الزيارات: ص٧٣.

فقال لهم الحصين بن تميم: إنّها لا تقبل.

فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل زعمت الصلاة من آل رسول الله ﷺ، وتقبل منك يا حمار.

فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب فرسه بالسيف فشبّ ووقع، وحمله أصحابه فاستنقذوه.

وأخذ حبيب يقول:

أُقسم لو كنا لكم أعدادا أو شطركم وليتم أكتادا

يا شر قوم حسبا وآدا

وارتجز أيضاً:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تسعر

أنتم أعد عدّة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حجة وأظهر حقّاً وأتقى منكم وأعذر

وقاتل قتالاً شديداً[1] فقتل على كبره اثنين وستين رجلاً، وحمل عليه بديل بن صريم فضربه بسيفه، وطعنه آخر من تميم برمحه فسقط إلى الأرض، وذهب ليقوم وإذا الحصين يضربه بالسيف على رأسه فسقط لوجهه، ونزل إليه التميمي واحتزّ رأسه[2].

فقال له الحصين: إنّي لشريكك في قتله، فقال الآخر: والله ما قتله غيري، فقال الحصين: اعطنيه أعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أني شركت في قتله ثم خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إيّاه.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٢.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣٠١. وبقية كتب المقاتل.

فأبى عليه، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس جيب بن مظاهر فجال به في العسكر، قد علقه في عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه[١].

فهدّ مقتله الحسين عليه السلام فقال: عند الله أحتسب نفسي، وحماة أصحابي[٢]، واسترجع كثيراً.

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٢.
(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج٢، ص١٩. وبقية كتب المقاتل.

قبره

إن من المسلّمات عند الطائفة هو أفضليّة حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه على أصحاب الحسين عليه السلام مستثنين أنصاره عليه السلام من أهل بيته.

ويدعم هذا التفضيل هو إفراد الإمام زين العابدين عليه السلام حبيباً بقبر مستقل، بينما دفن جميع الشهداء رضوان الله عليهم ما عدا عمّه العبّاس عليه السلام - في قبر واحد.

إن عقيدتنا أن أعمال الإمام وأفعاله كلها لحكمة ومصلحة، ويتصرف طبق أوامر المولى سبحانه، غير متأثر بحبّ، ولا مستوحش لبغض، فهو إنما خصّ حبيباً بهذه المكرمة لعلمه بسموّ منزلته عند الله سبحانه وكرامته عليه، وغير مستبعد أن يكون عليه السلام موصى بذلك من قبل أبيه الحسين عليه السلام.

وكيف ما كان فجلّ الزائرين للحسين عليه السلام يسلّمون على الحبيب، ويخصّونه بالزيارة قبل الحسين عليه السلام، فكأنّه البوّاب له عليه السلام، والإذن الذي يحصل عليه الزائر في الدخول.

الشهيد السعيد في كلمات الأئمة عليهم السلام

مَن تصفّح المعاجم التي أُلِّفت في تراجم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله يجد الكثير ممّن أثنى عليهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، مكبراً إيمانه، ودفاعه عن الإسلام، وحتى ورد منه الثناء على بعض المسلمات: ذكر الواقدي قوله صلى الله عليه وآله في (نسيبة بنت كعب) الأنصارية، وموقفها الجهادي يوم أُحد: لموقف نسيبة هذا اليوم أفضل من موقف فلان وفلان.

وعلى هذا جرى أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى أن العلماء اعتبروا هذا الثناء توثيقاً واعتماداً على صحةما يرويه.

وشهيدنا السعيد رضوان الله عليه حصل له الكثير من هذا الثناء من أئمة آل محمد عليهم السلام، نذكر من ذلك:

قال الإمام الحسين عليه السلام وقد وقف على مصرعه: رحمك الله يا حبيب، فقد كنت فاضلاً، تختم القرآن في ليلة واحدة[1].

وعن محمد بن قيس قال: لما قتل حبيب بن مظاهر هدَّ ذلك حسيناً، وقال: عند الله أحتسب نفسي، وحماة أصحابي[2].

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام بعد دفن الشهداء: وأما القبر

(١) حبيب بن مظاهر، للمظفّر: ١١.

(٢) ذخيرة الدارين: ١٩٢.

المنفرد، مما يلي الرأس الشريف، فهو حامل راية الحسين عليه السلام حبيب بن مظاهر[١].

ودكره الإمام المهدي عليه السلام في زيارة الناحية فقال: السلام على حبيب ابن مظاهر الأسدي[٢].

(١) حبيب بن مظاهر، للمظفّر: ١١.
(٢) الإقبال: ٤٦.

كلمات العلماء والعظماء

يتذكر المطالع الكريم لسلسلتنا السابقة (الأئمَّة الإثني عشر عليهم السلام) وجود كلمات العلماء والعظماء في كل كتاب منها، علماً أنها لا تعلو بهم، ولا ترفع من قدرهم صلوات الله وسلامه عليهم، وإن مدحة الله سبحانه وتعالى لهم والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله تغني عن كل مدح وإطراء، لكنّها في الوقت نفسه تري القارىء الكريم إجماع الأمة على إكبار الأئمَّة عليهم السلام، وذكرهم بكل جميل.

وفي كتبنا هذه ـ أصحاب الحسين عليه السلام ـ ذكرنا بعض ما في أيدينا من الكلمات في هذه الصفوة المختارة.

نقرأ الآن بعض ما ورد في الشهيد حبيب بن مظاهر رضوان الله عليه:

١ ـ قال الشيخ المفيد:

ومن أصفياء أصحابه ـ يريد أمير المؤمنين عليه السلام ـ عمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظهر الأسدي، ومحمّد بن أبي بكر[1].

٢ ـ وقال محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشيّ: وكان حبيب من السبعين، الرجال الذين نصروا الحسين عليه السلام، ولقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح بصدورهم، والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم

(١) الاختصاص: ص٢.

الأمان والأموال فيأبون ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قتل الحسين عليه السلام ومنا عين تطرف، حتى قتلوا حوله(١).

٣ ـ قال العلامة الحلي:

حبيب بن مظهر الأسدي، بضم الميم وفتح الظاء المعجمة، وتشديد الهاء والراء أخيراً، وقيل: مظاهر، مشكور رحمه الله، قتل مع الحسين عليه السلام بكربلاء(٢).

٤ ـ وقال الحسن بن داود الحلي:

حبيب بن مظاهر... قتل مع الحسين عليه السلام، وكان من السبعين الذين نصروه، وصبروا على البلاء، حتى قتلوا بين يديه رحمهم الله تعالى(٣).

٥ ـ وقال المولى حسين بن علي الكاشفي: حبيب رجل ذو جمال وكمال، وفي يوم وقعة كربلاء كان عمره ٧٥ سنة، وكان يحفظ القرآن كله، وكان يختمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر(٤).

٦ ـ وقال الشيخ عبد النبي الكاظمي:

وعداده في أصفياء علي عليه السلام، وقد ذكرنا ذلك في حرف الهمزة، وهو من شهداء كربلاء(٥).

٧ ـ وقال أبو القاسم النراقي:

حبيب بن مظاهر الأسدي: من حواريّي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قتل معه بكربلاء، وهو من السبعين الرجال الذين نصروه بمهجهم، ووقوه

---

(١) رجال الكشي: ص٧٤.
(٢) رجال العلامة الحلي: ص٦١.
(٣) كتاب الرجال: ص٧٠.
(٤) أعيان الشيعة: ج٢٠، ص٦٩ عن كتابه روضة الشهداء.
(٥) تكملة الرجال: ج١، ص٢٧٣.

بصدورهم، ولقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح والسيوف، وقد عرض عليهم الأمان فأبوا، وقالوا: لا عذر لنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إن قتل الحسين ومنا عين تطرف، حتى قتلوا حوله، رضي الله عنهم، وحشرنا معهم[١].

٨ ـ وقال الشيخ عبد الله المامقاني:

فحال الرجل أشهر من أن يحتاج إلى بيان، أو إقامة بيّنة، أو برهان، وكيف وهو ممّن عنده ببركة أمير المؤمنين عليه السلام وتعليمه إياه علم المنايا والبلايا، وهو قرين ميثم ورشيد ونحوهما، وله ليلة عاشوراء مكالمات مع زينب الكبرى سلام الله عليها تكشف عن غاية جلالته... وهل قامت النساء عن مثل حبيب؟! إلّا نفر يسير جداً[٢].

٩ ـ وقال الشيخ عبّاس القمي:

حبيب بن مظاهر، وقيل: مظهر الأسدي الفقعسي، رضوان الله عليه. كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ويظهر من الروايات أنه كان من خاصّته وحملة علمه...

وقال: وكان حبيب من السبعين الرجال الذين نصروا الحسين عليه السلام، ولقوا جبال الحديد،... إلخ[٣].

١٠ ـ وقال الشيخ مهدي المازندراني:

وكان حبيب صاحب لواء الحسين عليه السلام، ومن خواصِّ أصحابه، ولا يفارقه في كربلاء، ليلاً ولا نهاراً[٤].

---

(١) شعب المقال: ص٤٨.
(٢) تنقيح المقال: ج١، ص٢٥٣.
(٣) سفينة البحار: ج١، ص٢٠٣.
(٤) معالي السبطين: ج١، ص٢٣٠.

١١ ـ وقال السيد محسن الأمين:

فهدّ مقتله الحسين عليه السلام وقال: عند الله أحتسب نفسي، وحماة أصحابي[١].

١٢ ـ وقال خير الدين الزركلي:

حبيب بن مظهر، أو مظاهر بن رئاب بن الأشتر بن جخوان الأسدي الكندي ثم الفقعسي، تابعيّ من القواد الشجعان، نزل الكوفة، وصحب علي بن أبي طالب(رض) في حروبه كلها، ثم كان على ميسرة الحسين يوم كربلاء، وعمره خمس وسبعون سنة، وهو واحد من سبعين رجلاً استبسلوا في ذلك اليوم، وعرض عليهم الأمان فأبوا، وقالوا: لا عذر لنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إن قتل الحسين وفينا عين تطرف حتى قتلوا حوله[٢].

١٣ ـ وقال الشيخ محمّد علي الزهيري:

حبيب بن مظاهر الأسدي، ذلك البطل الضرغام، والتقيّ الورع، والعالم النحرير، تلمّذ على يد أمير المؤمنين عليه السلام، وأخذ منه علم المنايا، والبلايا[٣].

١٤ ـ وقال الشيخ عبد الواحد المظفري:

إن ابن مظاهر بطل الكوفة، وزعيم الأسديّين، قد تفوّق على أقرانه ونظرائه، وبذهم جميعاً بسجاياه الفاضلة، ومزاياه الجميلة: من الشجاعة القاهرة، والنجدة الباهرة، والتبصّر في الدين، والتقدّس المعجز، والزهد العظيم، والعبادة الفائقة، والورع المدهش، والسخاء المفرط، والوفاء الحرّ، والحميّة الصميمة، والعلم المعجب بجميع أنواعه وفنونه، من الفقه،

---

(١) لواعج الأشجان: ص١٤١.
(٢) الأعلام: ج٢، ص١٧٣.
(٣) المعارف الإسلاميّة: ج١، ص٣٨٩.

والتفسير، والقراءة، والحديث، والأدب، والمناظرة، والجدل، والمغيبات التي هو من جملة حملتها في عصر الخلافة العلويّة وبعدها[١].

١٥ ـ وقال باقر شريف القرشي:

وحبيب بن مظاهر من ألمع أصحاب الإمام وأشدّهم اندفاعاً في الذود عنه، فكان عضده وساعده، وكان حبيب ممّن زكّى نفسه وغذاها بالحكمة والصواب، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن شرطة الخميس، وكان نافذ البصيرة، صلب الإيمان[٢].

---

(١) الأمالي المنتخبة: ص٤٩.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢١٩.

نهاية المطاف

وحسبنا في هذا الكتاب أن أشرنا إلى جوانب من حياة هذا العظيم الخالد، ونبّهنا على مزايا هذا الشهيد السعيد، وبوسع الباحث أن يكتب عن حياة هذه الشخصية الفذة المؤلفات، ولكنّه عصر السرعة، يتطلب من المؤلف، والمطالع الاختصار.

وليس المهم ـ فيما أحسب ـ التعرّف على كل صغيرة وكبيرة من حياة هذا البطل، بل المهم هو أخذ الدروس من حياته الكريمة، والسير على هداه، والاستضاءة بأنواره، فالحق أحق أن يتّبع، وما التوفيق إلّا من عند الله سبحانه وتعالى، وهو المسدّد للصواب.

مسلم بن عوسجة الأسدي

رضوان الله عليه

الإهداء

سيدي أبا عبد الله

أُقدم إليك هذا الكتاب مستعرضاً فيه حياة جندي من جنودك، وشهيد من أصحابك، وقربان من قرابين الحق، والعدالة، أُؤمّل يا سيدي منك القبول.

عبدك

علي محمّد علي دخيّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

لعل كتابة التاريخ والتراجم والسِّيَر من العلوم القديمة التي تبنّاها علماء المسلمين، مستهدفين منها تخليد المترجمين أولاً، وأخذ الدروس والعبر منها ثانياً، فكم من عاكف على السير انصاع إلى طريق الحق ففاز، وكم من قارىء للتاريخ اهتدى بأنوار المهتدين فسعد، وكم من دارس للسير استضاء بسير الخالدين فتبصّر.

ويجب أن لا ننسى أن هناك جماعة آخرين لم تزدهم هذه السِّيَر والتراجم إلا بعداً عن الحق، ومجانبة للصواب، وإمعاناً في طريق الضلال ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ونحن في كتاباتنا عن أئمَّة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وشهداء الإسلام وعلمائه، نستهدف ما استهدفه السلف الصالح من عرض سير الأولياء، والشهداء، والصالحين، آملين أن يهتدي مهتد، ويسترشد ضال.

ومن ألمع رجال الإسلام الخالدين أصحاب الحسين عليه السلام، وشهيدنا مسلم بن عوسجة في طليعتهم.

وجدير بنا أن نأخذ من حياته رضوان الله عليه دروساً للعمل والتطبيق ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

الشهيد في سطور

* أبوه: عوسجة بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

* كنيته: أبو حجل.

* من أصحاب الرسول الأعظم ﷺ.

* له مواقف بطولية في الفتوح الإسلاميّة.

* من عبّاد الكوفة وملازمي جامعها الأعظم.

* له دور كبير في حركة مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، وأحد أقطابها.

* من عيون أنصار الحسين عليه السلام.

* قاتل يوم عاشوراء قتالاً لم يسمع بمثله حتى استشهد.

* مشى لمصرعه الحسين عليه السلام وأبّنه.

أذربيجان[1]

كان موقف الإسلام شديداً بالنسبة لمشركي العرب، لا يعرف الهوادة، بينما كان يقبل من أهل الكتاب الجزية.

وهو معذور في شدته مع المشركين، وعبدة الأوثان، لأنه جاء لتطوير البشريّة والرقيّ بها، وعبادة الأصنام تمثّل انحطاطها إلى الدرك الأسفل، فإنّ أمّة تعبد حجراً لا يسمع، ولا يعقل لهي جديرة بالصفع، وأن تقرع بشدّة.

إنّ من يقرأ معتقدات العرب قبل الإسلام وأعمالهم وعاداتهم يوقن أنهم لو بقوا قروناً متطاولة وهم بتلك العقيدة كان حالهم في الجهل، والفوضى، والتأخر، والانحطاط باقياً كحالهم قبل البعثة.

إنّ العقيدة الإسلاميّة رفعتهم من تلك الهوّة السحيقة، وجعلتهم في مصافّ الأمم المتمدِّنة، بل هم متفوّقون عليها، وقادة لها.

وكان موقف الإسلام أيضاً شديداً بالنسبة لعبدة النار، وهم جمهور الامبراطورية الفارسية، فنارهم لم تخمد منذ ألف عام؛ وهم وإن فاقوا

---

(١) وحّد أذربيجان من برذعة شرقاً إلى زنجان مغرباً؛ ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل؛ وهو إقليم واسع، ومن مشهور مدائنها تبريز وهو اليوم قصبتها وأكبر مدنها، وكانت قصبتها قديماً المراغة ـ معجم البلدان: ج١، ص١٦٠ وذكر الطبري في تاريخه: ج٤، ص٢٥٥ إن فتحها كان ٢٢هـ.

إخوانهم العرب في العلم والصناعة، ولكن عقيدتهم تدلّ على ضحالة في التفكير، وتأخّر في العقل.

أعلن الإسلام الحرب عليهم، وصار يكتسح امبراطوريتهم العظيمة، وصارت تهوي أمامه مدينة بعد مدينة.

وفي سنة اثنتين وعشرين للهجرة، كان جيش الإسلام على أبواب أذربيجان، وهي أقصى المملكة من جهة الشمال. لم يحلم العرب ـ لولا الإسلام ـ بالوصول إليها يوماً ما، ولكن ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[١].

كان مسلم بن عوسجة في طليعة الجيش الإسلامي الذي دكّ تلك الحصون، وقد شاهد بطولته بعض أهل الكوفة ممّن حضر الوقعة؛ وفي يوم عاشوراء، وبعد مصرعه، ونداء جاريته: يا ابن عوسجتاه، يا سيداه، وتباشر أهل الكوفة بقتله، فقال شبث بن ربعي ـ قائد ميمنة ابن سعد ـ لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟! أما والذي أسلمت له لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق[٢] أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين. أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟![٣].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) السلق: الأرض الصفصف.

(٣) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٤٩.

في الكوفة

إن العشرين عاماً من حكم معاوية كانت ثقيلة جداً على الكوفة، وقد لقوا منها الأمرّين، وعانوا من المغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه القتل والاضطهاد، فكان هلاك الطاغية فرحة كبرىٰ للكوفيّين، وأخذوا يتنفسون الصعداء. فكانت حفلات المسرّة والاستبشار تقام، وكان الهتاف باسم الحسين عليه السلام يرتفع في تلك النوادي، وأخذت الكتب تتلاحق على الحسين عليه السلام حتى اجتمع عنده اثنا عشر ألفاً[1].

ونتيجة للطلب المتلاحق منهم أرسل عليه السلام إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل عليه السلام سفيراً وممثلاً.

استجابت الكوفة بأسرها للحسين عليه السلام إلّا نفراً من أذناب الأمويّين غاظهم ذلك، فكتبوا إلى يزيد يعلمونه بذلك، وطلبوا منه والياً حازماً، لأن النعمان بن بشير ـ والي الكوفة ـ ضعيف، أو يتضاعف ـ على حد تعبيرهم ـ.

وفي الواقع، إن مسلم بن عقيل رضوان الله عليه لم يتسلّم الحكم بالكوفة مع استجابتها له، فقد كان النعمان موجوداً في قصر الإمارة، ولكن الكوفيّين لا يجتمعون معه في جمعة، ولا جماعة.

وكان مسلم يتهيأ لتسلّم الحكم، فهو يأخذ البيعة للحسين عليه السلام حتى

---

(١) إبصار العين: ص٥.

أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً[١]. وقد رتّب من يتسلّم عنه الأموال. ويشتري السلاح، فكان مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه ممّن أنيط به بعض ذلك.

إنّ الصورة التي يذكرها المؤرِّخون لتلك الفترة، يظهر منها إمكانية مسلم بن عقيل سلام الله عليه لطرد والي يزيد عن الكوفة واستقلاله بها.

ولست أعلم السبب الحقيقي لتأخر مسلم سلام الله عليه عن ذلك، هل هو الحرص والحفاظ على الدماء؟ فإنّه كان يحتمل أن الحزب الأموي في الكوفة لا يقف مكتوف اليد إذا ما أعلن مسلم الثورة، ولذا كان يريد الاستعداد بقوة أكبر، لتنكمش المعارضة حينئذٍ وتكون الثورة بيضاء، أو لعلّه كان ـ وهو الأقرب للصواب ـ ينتظر قدوم الحسين عليه السلام، فقد كتب إليه باستجابة الكوفة ويستحثه على القدوم. وكيف ما كان فقد جاء ابن زياد، وانقلب الوضع، وسيطر سيطرة كاملة على الكوفة، وقبض على الأمر بيد من حديد، واختفى مسلم بن عقيل سلام الله عليه وأنصاره، وصار همّ ابن زياد التفتيش عن مسلم ورؤوس أصحابه، وبثّ العيون والجواسيس، فكان منهم معقل ـ مولى ابن زياد ـ فقد أعطاه ثلاثة آلاف درهم وأمره أن يتوسّل بها إلى معرفة مسلم بن عقيل.

جاء معقل إلى مسلم بن عوسجة، وهو يصلي في المسجد الأعظم، وجلس إلى جنبه حتى فرغ من صلاته. ثم قال: يا عبد الله إنّي امرؤ من أهل الشام، أنعم الله عليّ بحب أهل البيت، وحبّ من أحبهم، وتباكى له، وقال: معي ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أُريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه، ولا أعرف مكانه، فإني لجالس في المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٠٧.

مني هذا المال، وتدخلني على صاحبك، فإنّي أخ من اخوانك، وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه.

فقال له ابن عوسجة: أحمد الله على لقائك إيّاي، فقد سرّني ذلك لتنال الذي تحب، ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه عليه وعليهم السلام، ولقد ساءني معرفة الناس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

فقال له معقل: لا يكون إلّا خيراً. خذ البيعة عليّ، فأخذ بيعته، وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحن وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثم قال: اختلف إليّ أياماً في منزلي فإنّي طالب لك الإذن على صاحبك.

وأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن، فأذن له، فأخذ مسلم بن عقيل عليه السلام بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي بقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً، ويشتري لهم السلاح، وكان بصيراً، وفارساً من فرسان العرب، ووجوه الشيعة.

وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل، وآخر خارج[١].

والذي أعتقده، إن هذا اللقاء لم يكن وليد الصدفة، فلا بدّ أنّ ابن زياد علم بمركز مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه من الحركة الثورية، وأنه بعض أقطابها فأرسل جاسوسه إليه.

---

(١) الإرشاد: ص٢٠٨.

لا نخلّي عنك

توسّل سيد الشهداء عليه السلام بكل الوسائل الإعلاميّة في إعلان دعوته، وجمع الأنصار لها، فهو يخطب في مكة حين أراد الخروج منها داعياً الملأ الإسلامي إلى نصرته، ويرسل رسله إلى الأمصار الإسلاميّة، ويدعو آخرين بنفسه.

ثم هو عليه السلام بعد أن وافته أنباء ردّة الكوفة، وقتلهم لابن عمّه مسلم بن عقيل سلام الله عليه، أخذ يعلن أنباء النكسة، ويدعو أتباعه إلى الانصراف.

ففي (زبالة) أخرج للناس كتاباً فقرأ عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهانىء بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام.

فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً، وشمالاً حتى بقي أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن إنما اتّبعه الأعراب لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون، وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته، والموت معه[١].

كان هذا دأبه في الإذن لأصحابه بالتفرّق حتى ليلة عاشوراء، فقد

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٢٦.

خطبهم عليه السلام قائلا: إن القوم يطلبوني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي.

وقال له أهله وتقدّمهم العبّاس بالكلام: لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً.

ثم قام مسلم بن عوسجة. فقال: أنحن نخلي عنك، ولم نعذر إلى الله في أداء حقك؟! أما والله لا أبرح حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. ثم تكلم أصحابه على نهجه[١].

---

(١) إبصار العين: ص٧٣.

لا يبدأ بالقتال

في معسكر الحسين عليه السلام الفضيلة، والخلق النبيل، والمكارم بأجمعها، وليس ذلك بغريب فعقيدتنا بالإمام أن يكون متحلياً بجميع الصفات الخيّرة، حائزاً على أسمى درجات الكمال، لا يسبقه فيها سابق، ولا يلحقه فيها لاحق.

وأحداث يوم عاشوراء، وما سبقها برهان واضح، ودليل ساطع على ذلك، فهو عليه السلام يسقي الحرّ وأصحابه وهم ألف فارس وقد جاءوا لصدّه، في بيداء يعزّ فيها الماء، وربما سقى بعضهم بيده الشريفة، إلى مواقف أخرى له عليه السلام كريمة؛ وفي يوم عاشوراء يأمر عليه السلام بإضرام النار في خندق خلف الخيام، لتتوحّد جبهة الحرب، وتسلم المخيّمات.

قال الضحاك المشرقي: لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم في الحطب والقصب الذي كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتون من خلفنا، إذ أقبل إلينا منهم رجل يركض على فرس كامل الأداة، فلم يكلّمنا حتى مرّ على أبياتنا فنظر إلىٰ أبياتنا فإذا هو لا يرىٰ إلّا حطباً تلتهب النار فيه، فرجع راجعاً فنادى بأعلى صوته يا حسين! استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة.

فقال الحسين عليه السلام: من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن؟!

فقالوا: نعم أصلحك الله هو هو.

فقال: يا ابن راعية المعزىٰ، أنت أولىٰ بها صليّا.

فقال له مسلم بن عوسجة: يا ابن رسول الله، جعلت فداك، ألا أرميه بسهم؟ فإنّه قد أمكنني وليس يسقط مني سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين.

فقال له الحسين: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم[1].

وبقدر ما يكون هذا الموقف الإنساني النبيل من سيد الشهداء عليه السلام مع أعدى أعدائه، هو أيضاً موقف بطولي لشهيدنا الخالد ـ مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه ـ لمبادرته لقتال الظالمين..

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٤٢.

الشهادة

كانت الإجراءات العسكرية التي اتخذها سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء على غرار ما تعمله الجيوش الكبيرة، من تقسيم الجيش إلى ميمنة، وميسرة، وقلب، رغم قلّة أصحابه، مضافاً إلى خطط حربية أخرىٰ.

ويظهر أنه عليه السلام كان يريد تطويل ساعات الحرب مستوعباً ذلك اليوم، وأن لا يلقي بنفسه وأصحابه في ساحة الحرب في ساعة واحدة.

كان عليه السلام يريد أن يعظ القوم، يريد إعلان دعوته، يريد ويريد.. حتى التنكيل بأهل الكوفة، والأخذ بثأره وثأر أصحابه، لما في ذلك من تلقين دروس قاسية لكل معتد ظلوم. فلو قدّر أن يُقتل الحسين عليه السلام، وأهل بيته، وأصحابه صبراً، أو بعد قتال قليل، فإن في ذلك من المهانة والذل لكل طالب حق، والجرأة لكل ظالم، ولو بعد حين؛ فقد لقّن عليه السلام أهل الكوفة درساً لم ينسوه أبداً، وما ترك في الكوفة بيتاً إلّا وفيه نائحة.

إنّ من يقرأ كتاب (نور العين في مشهد الحسين عليه السلام) للعلّامة أبي إسحاق الاسفرايني (من أجلّاء علماء السنّة) يخرج بنتيجة أن الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، سلام الله عليهم أجمعين قتلوا حدود الخمسين ألفاً من جيش الطاغية.

وروى ابن أبي الحديد: قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد:

ويحك! أقتلتم ذريَّة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال: عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كأسود ضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنيّة، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنا فاعلين لا أمّ لك؟![1].

وكيف ما كان فقد كان جيش الحسين عليه السلام مؤلفّاً من ميمنة، وعليها زهير بن القين، وميسرة، وعليها حبيب بن مظاهر، وقلب فيه الهاشميّون، وقد أدّت هذه الوحدات دورها بأحسن ما يكون، فقد قاتلت مجتمعة وفرادى، وصدّت هجمات العدو العنيفة، كل ذلك حسب التخطيط الذي رسمه لها سيدُ الشهداء عليه السلام، وقد سجّل المؤرِّخون، وأهل المقاتل صور الحرب والقتال. فقالوا: ثم خرج مسلم بن عوسجة الأسدي، وهو يقول:

إن تسألوا عني فإنّي ذو لبد ... من فرع قوم من ذرىٰ بني أسد
فمن بغاني حائد على الرشد ... وكافر بدين جبّار صمد

ثم تابعه نافع بن هلال الجملي، وهو يقول:

أنا على دين علي ... ابن هلال الجملي
أضربكم بمنصلي ... تحت عجاج القسطل

فخرج لنافع رجل من بني قطيعة فقال لنافع: أنا على دين عثمان.

فقال نافع: أنت على دين الشيطان، وحمل عليه فقتله.

فأخذ نافع، ومسلم يجولان في ميمنة ابن سعد، فقال عمرو بن الحجاج وكان على الميمنة: ويلكم يا حمقاء مهلاً، أتدرون من تقاتلون،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٦٧.

إنّكم تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرزنّ منكم أحد إلّا قتلوه على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال ابن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت، فأرسل في العسكر من يعزم عليهم: أن لا يبارز رجل منكم، فلو خرجتم وحداناً لأتوا عليكم مبارزة.

ثم دنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين ثم صاح بقومه: يا أهل الكوفة، إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف إمام المسلمين.

فقال له الحسين: يا ابن الحجاج، أعليّ تحرّض الناس؟! أنحن مرقنا عن الدين وأنتم ثبتم عليه؟ ولتعلمن أيّنا المارق عن الدين، ومن هو أولىٰ بصلي النار[(١)].

ثم حمل عمرو بن الحجاج من نحو الفرات، فاقتتلوا ساعة، وفيها قاتل مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه، قتالاً لم يُسمع بمثله فشدّ عليه مسلم بن عبد الله الضبابي، وعبيد الله بن خشكارة البجلي، ثارت لشدّة الجلاد غبرة شديدة، وما انجلت الغبرة إلا ومسلم صريعاً، وبه رمق، فمشى إليه الحسين عليه السلام، ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[(٢)].

إن حياة هذا المجاهد العظيم سلسلة جهاد مع الظالمين، ثم كانت الخاتمة الكريمة الشهادة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٣)].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج٢، ص١٥. وبقية كتب المقاتل.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص٢٩٧. وبقية كتب المقاتل.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٥.

الوصيّة

وساعة الموت مذهلة لا تسمح للميت في التفكير بغير نفسه فضلاً عن العمل لأي غاية، فسكرات الموت تذهل الحبيب عن حبيبه، والحميم عن حميمه، ولو قدّر لمن يعانيها أن يبصر ابنه في تلك الساعة وقد أصبح ملكاً، أو يشاهده مذبوحاً، فكلا الحالين لديه سواء لعظم ما هو فيه، وشدّة ما يكابده.

ولكن أصحاب الحسين عليه السلام كانوا من سنخ آخر، فهم حتى في هذه الساعة لا يفكرون إلّا بسيدهم الحسين عليه السلام.

ذكر أهل المقاتل والتاريخ: أن الحسين عليه السلام مشى لمصرع مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه، ومعه حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه، فدنا منه حبيب فقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، ابشر بالجنة.

فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصني بكل ما أهمّك، حتى أحفظك في كل ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال: بل، أنا أوصيك بهذا ـ رحمك الله ـ وأهوى بيده إلى الحسين ـ أن تموت دونه.

قال: أفعل ورب الكعبة، فما كان بأسرع من أن مات في أيديهم[١].

حقاً، إن هذا اللون من التفاني والنصرة لم تعرفه الدنيا خلال قرونها المتطاولة لأحد غير أصحاب الحسين عليه السلام.

فسلام الله عليهم يوم ولدوا، ويوم استشهدوا، ويوم يبعثون. وأخذ الله بأيدي المسلمين نحو هذا الطريق، طريق التضحية، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، ونصرة الإسلام.

كلمات العلماء والعظماء

أوقفناك بهذه الصفحات القليلة على بعض جوانب هذه الشخصية العملاقة، لقد كانت حياته كلها عمل متواصل لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، والدعوة إليه، ونصرة أوليائه، ومحاربة أعدائه، ثم كانت النهاية السعيدة، والخاتمة التي يغبط عليها رضوان الله عليه، فكأنه رضوان الله تعالى عليه ممّن عنتهم الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[(١)] فهو بعد جدير بكل مدح وثناء؛ وفي هذه الصفحات شيء من ذلك.

١ ـ قال الإمام الحسين وقد وقف على مصرعه: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[(٢)].

٢ ـ قال الإمام المهدي عليه السلام في زيارة الناحية:

السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: أنحن نخلي عنك؟ وبم نعتذر عند الله من أداء حقك؟ لا والله حتى أكسر في صدورهم رمحي هذا، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أفارقك حتى أموت معك.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج٢، ص١٦.

وكنت أول من شرىٰ نفسه، وأول شهيد من شهداء الله قضىٰ نحبه، ففزت وربّ الكعبة، وشكر الله لك استقدامك ومواساتك إمامك، إذ مشىٰ إليك وأنت صريع، فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1] لعن الله المشتركين في قتلك: مسلم بن عبد الله الضبابي[2]، وعبد الله بن خشكارة البجلي.

٣ ـ قال العسقلاني:

إنه كان رجلاً شريفاً، سرياً، عابداً، قارئاً للقرآن، متنسكاً، استشهد مع الحسين عليه السلام بطف كربلاء[3].

٤ ـ قال محمّد بن سعد:

كان صحابيّاً، ممّن رأى النبي صلى الله عليه وآله، وروى عنه الشعبي، وكان فارساً، شجاعاً، له ذكر في المغازي، والفتوح الإسلاميّة[4].

٥ ـ قال أبو القاسم النراقي:

مسلم بن عوسجة: من حواريّي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قتل معه بكربلاء[5].

٦ ـ قال الشيخ عبد الله المامقاني:

وكان صحابياً، ممّن رأى النبي صلى الله عليه وآله، وكان رجلاً شجاعاً، له ذكر في المغازي والفتوح الإسلاميّة، مضىٰ على ذلك ابن سعد في محكي طبقاته.

وأقول: جلالة الرجل وعدالته، وقوة إيمانه، وشدّة تقواه، ممّا تكلّ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) الإقبال: ص٤٦.

(٣) تنقيح المقال: ج٣، ص٢١٤.

(٤) تنقيح المقال: ج٣، ص٢١٤.

(٥) شعب المقال: ص١٠٤.

الأقلام عن تحريرها، وتعجز الألسن عن تقريرها، ولو لم يكن في حقه إلّا ما تضمنته زيارة الناحية المقدّسة لكفاه [(١)].

٧ ـ قال الشيخ محمّد السماوي:

كان رجلاً شريفاً، سرياً، عابداً، متنسكاً[(٢)].

٨ ـ قال خير الدين الزركلي:

مسلم بن عوسجة الأسدي، من أبطال العرب في صدر الإسلام، شهد يوم أذربيجان وغيره من أيام الفتوح، وكان مع الحسين بن علي في قصده الكوفة، فقتل وهو يناضل عنه[(٣)].

٩ ـ قال الشيخ ذبيح الله المحلاني:

رجل شريف حي، قارىء للقرآن، وأسد مفترس في الشجاعة في حرب الكفّار وفي الفتوحات.. ومن خواصِّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ملازماً له في الجمل، والنهروان، وصفّين[(٤)].

١٠ ـ قال الشيخ محمّد علي الزهيري:

ولما جاء مسلم إلى الكوفة كان هو ـ أي حبيب بن مظاهر ـ وابن عمّه مسلم بن عوسجة يأخذان البيعة من الناس للحسين عليه السلام، ولما خذل الناس مسلماً رضي الله عنه اختفيا في عشائرهما خوفاً من عبيد الله، ولما بلغهما نزول الحسين عليه السلام كربلاء توجها إليه يسيران في الليل، ويكمنان في النهار، حتى وصلا إليه ليلة السابع، أو الثامن من المحرَّم[(٥)].

---

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص٢١٤.
(٢) إبصار العين: ص٧١.
(٣) الأعلام: ج٨، ص١١٩.
(٤) فرسان الهيجاء: ج٢، ص١١٦.
(٥) المعارف الإسلاميّة: ج١، ص٣٩٠.

١١ ـ قال الشيخ عبد الواحد المظفري:

فإذا كانت البطولة عنوان المحاسن، ومجمع الكمالات، ومحور الفضائل، فلا شك أن مسلم بن عوسجة الأسدي من أتمّ الرجال في المحاسن التي يتفاخر بأقلها عظماء الرجال، ويتمادح ببعضها الوجوه والأعيان، ويتفاخر بفضيلة منها سائر أهل الكمال: نحو العلم، والتقوى، وشدّة البأس، والشجاعة، والفصاحة، والوفاء، والإيثار، مع ما له من فضيلة الصحبة لرسول الله ﷺ، والاختصاص بعلي أمير المؤمنين عليه السلام[1].

١٢ ـ قال باقر شريف القرشي معلقاً على وصيته بالحسين عليه السلام:

كانت هذه هي العظمة حقاً بما تحمل من معاني السموّ والشرف لدى أصحاب الإمام، لقد كان كل واحد منهم يمثّل شرف الإنسانيَّة في جميع عصورها ومواطنها، إنه الوفاء الذي ينبض بالإيمان الذي لا حدّ له، فلم يفكر في تلك اللحظة من حياته بأهله، أو بأي شأن من شؤون الدنيا، وإنما استوعب فكره الحسين، فقد أخلص في حبّه حتى النفس الأخير من حياته[2].

---

(١) الأمالي المنتخبة: ص١١٨.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢١٢.

نهاية المطاف

طالعتك صفحات هذا الكتاب وبقية كتب السلسلة بسير نخبة من عظماء الإسلام وشهدائه الخالدين، آثروا ما عند الله سبحانه وتعالى على الحياة الدنيا، والموت في سبيل الله وإعلاء كلمته.

ونحن ـ وإن وضع عنا الجهاد، وحمل السلاح ـ لكنّا مطالبين بجهاد النفس، وحملها على طريق الصواب، وقسرها على الفضائل، وتلقينها سير الصالحين، لتسير على هداهم، وتسلك طريقهم، فتكون في حظيرة القدس، بجوار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

جنادة بن كعب الأنصاري

رضوان اللّٰه عليه

الإهداء

إليك يا رسول الله.

أرفع هذا الكتاب، مستعرضاً فيه جانباً من مأساة سبطك العظيم، وريحانتك الحسين عليه السلام، وترجمة سريعة لأسرة مجاهدة من أصحابه الأبرار.

عبدك

علي محمّد علي دخيّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

الكتب التي سبقت هذا الكتاب والتي تأخرت عنه، كل منها ترجمة لبطل واحد من أبطال كربلاء، وشهيد من شهدائها. لكن هذا الكتاب استعراض وترجمة لأسرة شهدت الواقعة، وحظت بالشهادة.

إن يوم عاشوراء استأثر بخيار المسلمين: شيوخاً، وكهولاً، وشباباً، وأطفالاً، ونساءً، ألهب الجميع الحماس للحق، والاهتزاز للشعور الديني الفياض، فجادوا بأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه، والدفاع عن دينه.

إن هذا الكتاب ترجمة لجنادة الأنصاري رضوان الله عليه المستشهد في يوم عاشوراء، وابنه الشهيد (عمرو)، وزوجته العظيمة رضوان الله عليهم أجمعين.

إن الواجب الديني في الجهاد لم يكن متعلقاً بغير الوالد الكريم، فليس على الأطفال جهاد، ولا على النساء حمل السلاح، ولكن العقيدة تغلغلت في هذه الأسرة الكريمة فهان عليها الموت في سبيل الإسلام، والدفاع عن آل الرسول ﷺ.

وإذا حق للتاريخ أن يخلّد أسرة فجدير به أن يخلّد هذه الأسرة الكريمة، ويسجّل تاريخهم البطولي بمداد من نور مباهياً بهم الأمم ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

الشهيد في سطور

* أبوه: كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي.
* جاء مع الحسين عليه السلام من مكة.
* شهد الواقعة ومعه ابنه وزوجته.
* استشهد رضوان الله عليه في الحملة الأولى.
* استشهد ابنه أيضاً.
* قاتلت زوجته (بحرية بنت مسعود الخزرجي) لكن الإمام الحسين عليه السلام ردّها إلى المخيّم.

ولاء الأنصار

كان العهد الذي أخذه رسول الله ﷺ على الأوس، والخزرج ليلة العقبة: تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم[1].

وحافظ أكثر الأنصار على هذا العهد، كما حافظوا على ولائهم لأهل بيت النبي ﷺ، والمودّة لهم، والدفاع عنهم؛ وحتى اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة، فيعتقد أكثر الباحثين أن هوى الأنصار كان مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنّهم اعتقدوا أن القرشيِّين يصرفون الخلافة عنه عليه السلام لذا عملوا لكسبها.

وكيف ما كان، فولاء الأنصار كان لأهل البيت عليهم السلام، فقد أسرعوا لبيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان، وكانوا في طليعة جيشه عليه السلام في حروبه مع الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

وهم جند الإمام الحسن عليه السلام، ويكفيهم فخراً موقف زعيمهم قيس بن سعد بن عبادة رضوان الله عليه المشرّف مع معاوية، وورّث الأنصار أبناءهم هذا الولاء لأهل البيت عليهم السلام، فقد ضمّ جيش أبي عبد الله الحسين عليه السلام عدداً منهم ومن أبنائهم، نذكر منهم:

١ ـ عمرو بن قرظة الأنصاري.

---

(١) إعلام الورى: ص٦٠.

٢ ـ عبد الرحمن بن عبد ربه الخزرجي.

٣ ـ نعيم بن العجلان الخزرجي.

٤ ـ جنادة بن كعب الخزرجي.

٥ ـ عمرو بن جنادة.

٦ ـ سعد بن الحرث العجلاني.

٧ ـ أبو الحتوف بن الحرث الأنصاري[١].

وأعظم من هذا كله: أن المدينة ـ وجل أهلها الأنصار ـ خلعت يزيد بعد واقعة الطف، مستنكرة جريمته العظمى، وبايعت عبد الله بن حنظلة الأنصاري ـ غسيل الملائكة ـ حتى كانت واقعة الحرّة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٢].

(١) إبصار العين: ص١١٠ ـ ١١٣. وذكر آخرين السيد الحسيني في كتابه (ذخيرة الدارين).
(٢) سورة طور، الآية: ٢١.

الحملة الأولى

وأصبح الصباح فصلّى عليه السلام بأصحابه صلاة الصبح ثم خطبهم قائلاً: إن الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر[١].

ثم صفّهم للحرب وكانوا نيفاً وسبعين رجلاً، وبعد أن رتّبهم في مراكزهم توجّه نحو أهل الكوفة خطيباً، وواعظاً.

وبينما كان عليه السلام يخطب خشي ابن سعد أن يهيمن الحسين عليه السلام على الموقف ببيانه وحججه، فطلب من أصحابه الرد عليه، ليشغل الجيش.

انبرى شمر بن ذي الجوشن فكلّم الحسين عليه السلام بلغة جافة، وردّ عليه حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه، ثم استمرّ عليه السلام في خطابه، وسمح لبعض أصحابه بإلقاء الخطب، ونفذ صبر ابن سعد، فتقدّم نحو عسكر الحسين عليه السلام ورمى بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، ثم رمى الناس، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلّا أصابته سهامهم، فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا ـ رحمكم الله ـ إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم.

فحمل أصحابه حملة واحدة واقتتلوا ساعة، فما انجلت الغبرة إلّا عن خمسين صريعاً[٢].

كان من بينهم شهيدنا الخالد جنادة الأنصاري رضوان الله عليه.

---

(١) كامل الزيارات: ص٧٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩٢. وجميع كتب المقاتل.

الإبن الشهيد

وبينما كان الإمام الحسين عليه السلام ينظّم البقية الباقية من أصحابه، الذين لم يستشهدوا في الحملة الأولى، وإذا بغلام يحمل السلاح، قد قصّرت له حمائل السيف، يستأذن لميدان الحرب.

عرف الحسين عليه السلام الغلام، فهو عمرو بن جنادة، فأبى عليه السلام أن يأذن له، وقال: إن هذا غلام قتل أبوه في المعركة، ولعلّ أُمّه تكره ذلك.

فقال الغلام: إن أُمّي هي التي أمرتني. فأذن له الحسين عليه السلام[1].

حمل الغلام على صفوف أهل الكوفة، وهو يقول:

أضق الخناق من ابن هند وارمه ... في عقره بفوارس الأنصار

ومهاجرين مخضّبين رماحهم ... تحت العجاجة من دم الكفّارِ

خضبت على عهد النبي محمّد ... فاليوم تخضب من دم الفجّارِ

واليوم تخضب من دماء معاشر ... رفضوا القرآن لنصرة الأشرار

طلبوا بثأرهم ببدر وانثنوا ... بالمرهفات وبالقنا الخطّارِ

واللّه ربي لا أزال مضارباً ... للفاسقين بمرهف بتّارِ

هذا عليّ اليوم حقّ واجب ... في كل يوم تعانق وحوارِ

فقاتل حتى قتل[2].

وقطع رأسه ورمي به نحو الحسين عليه السلام[3].

---

(١) إبصار العين: ص١١٣.
(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج٢، ص٢١.
(٣) إبصار العين: ١١٣.

المرأة المجاهدة

أسقط الإسلام الجهاد عن المرأة كما أسقطه عن الأطفال، والشيوخ، والعاجزين، إبقاء عليهم، ولكن بعض هؤلاء المعفيِّين اشترك في حروب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد أذن صلى الله عليه وآله لبعضهم نزولاً لرغبتهم بالجهاد، وحرصهم على الشهادة.

وقد ذكر المؤرِّخون، وأهل السِّيَر جماعة من الصحابة المعذورين استشهدوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم: عمرو بن الجموح، وحسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش وغيرهم[١].

كما سمح عليه الصلاة والسلام لبعض النساء بالاشتراك بالحرب، ومباشرة القتال، فقد قاتلت نسيبة بنت كعب الأنصارية في يوم أحد وأصيبت بثلاث عشرة جراحة، وقال صلى الله عليه وآله: ما التفت يميناً، ولا شمالاً إلّا وأراها تقاتل دوني.

وقال عليه السلام: لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان[٢].

وكان للمرأة المسلمة مواقف مشرّفة في التحريض والجهاد يوم صفّين بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أن معاوية استدعى بعضهنّ ـ حين تمّ له الأمر ـ إلى الشام معاتباً ومعاقباً.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣، ص٩٢.
(٢) شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٣٧٧.

واشتركت المرأة يوم عاشوراء بالقتال، فقد أخذت أم عمرو رأس عمرو وضربت به رجلاً فقتلته، وعادت إلى المخيّم فأخذت عموداً لتقاتل به فردّها الحسين عليه السلام[1].

حقاً إنّ هذا اللون من الحماس الديني، والشعور الفياض بالولاء، وعدم الاكتراث بالمصاب الفادح، في سبيل الإيمان والعقيدة يندر وجوده، لكنّهم أصحاب الحسين عليه السلام، فاقوا الدنيا إيماناً وجهاداً، وتفانياً في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾[2].

(١) إبصار العين: ص١١٣.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

كلمات العلماء والعظماء

إن كتب التاريخ، والتراجم، ومعاجم الرجال مستفيضة بتراجم أصحاب الحسين عليه السلام، وذكرهم بكل جميل، وتمجيد موقفهم المشرّف يوم الطف، واستماتتهم في نصرة الإسلام، والدفاع عن أهل بيت النُّبوَّة.

وتكفينا كلمة الشيخ المامقاني رحمه الله في الشهيد رضوان الله عليه، فقد أشار إلى عدّة جوانب من حياته الكريمة:

قال رحمه الله: جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي؛ ذكر علماء السِّيَر أنه كان من الشيعة، ومن المخلصين في الولاء، وممن صحب الحسين عليه السلام من مكة، وجاء معه هو وأهله إلى كربلاء، فلما كان يوم الطف، وشبّ القتال، وحمل أهل الكوفة على عسكر الحسين عليه السلام، تقدّم جنادة هذا وقاتل حتى نال شرف الشهادة في الحملة الأولى[1].

٢ ـ وقال الشيخ محمّد السماوي:

كان جنادة ممّن صحب الحسين عليه السلام من مكة، وجاء معه هو وأهله، فلما كان يوم الطف تقدّم إلى القتال، فقتل في الحملة الأولى[2].

٣ ـ وقال الشيخ ذبيح الله المحلاتي:

العاملي في أعيان الشيعة، والسماوي في إبصار العين، والمامقاني في

(١) تنقيح المقال: ج١، ص٢٣٤.
(٢) إبصار العين: ص١١٣.

رجاله، ذكروه وقالوا: إن جنادة بن كعب الأنصاري الخزرجي من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام الخلّص، وخرج من مكة بصحبة الحسين عليه السلام مع عياله، ودخل إلى أرض كربلاء، واستشهد في الحملة الأولى يوم عاشوراء[1].

٤ ـ وقال باقر شريف القرشي في عمرو بن جنادة:

وبرز الفتى النبيل عمرو بن جنادة الأنصاري وهو أصغر جندي في معسكر الحسين عليه السلام، ولكنّه كان يفوق في عقله ودينه من في معسكر ابن سعد[2].

---

(١) فرسان الهيجاء: ج١، ص٧٥.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢٣٣.

نهاية المطاف

قرأت في هذه الصفحات موجزاً عن حياة هذه الأسرة المسلمة، وقد وضع الله عنك، وعن أسرتك هذا العبء الثقيل، ولكنّه لم يضع عنكم الالتزام بنهجه، والتقيّد بتعاليمه، والاهتداء بهديه، والسير على سُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله، فالحذر أن يجدك وأسرتك وأنتم بعيدون عمّا أمركم به، مقترفون لما نهاكم عنه، فتخسروا الجنة ونعيمها، وذلك هو الخسران المبين.

إن طريق الله سبحانه وتعالى واضحة معالمه، سهلة شرائعه، يقود إلى السلامة اتباعه، أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى مغفرته ورضوانه، وجنّبنا سخطه وعذابه.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[١]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

عابس بن أبي شبيب الشاكري

رضوان الله عليه

الإهداء

سيدي يا أمير المؤمنين

يشرفني أن أقدم إليك هذا الكتاب عن حياة رجل من أنصارك، وبطل من أبطالك، وشهيد بين يدي ولدك الحسين عليه السلام. مؤملاً منك القبول.

عبدك

علي محمّد علي دخيّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

وليس من قبيل الصدفة استجابة جماعة معيّنة لنداء الحسين عليه السلام، عازمين على ملاقاة الألوف، موطّنين أنفسهم على الموت، مصمِّمين على الشهادة.

إنها حصيلة نتاج طاهر، وتربية خاصَّة، وتخرّج من مدرسة عالية، صقلها الإيمان عبر السنين الطويلة، وجلاها الولاء لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فهم كما يقول عدوهم عمرو بن الحجاج الزبيدي ـ قائد ميمنة ابن سعد ـ لأصحابه: أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلّا قتلوه على قلتهم(١).

ويكفيهم ذلك فخراً.

لقد كان في طليعة موكب هؤلاء العظماء عابس بن أبي شبيب الشاكري رضوان الله تعالى عليه، فقد أخذ هذا الرجل بجميع الفضائل، وجمع كل المكارم، وتحلّى بجميع الكمالات، وكأنّ الشاعر عناه بقوله:

تجاوز حدّ المدح حتى كأنّه ... بأحسن ما يثنى عليه يُعاب

وهذه الصفحات ـ على قلّتها ـ نقدمها للقارىء الكريم ليطلع على بعض جوانب حياة هذا العظيم الخالد.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩٦. وبقية كتب المقاتل.

الشهيد في سطور

* أبوه: أبو شبيب بن شاكر بن ربيعة بن مالك بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد الهمداني الشاكري.

* عرفت أسرته بالبطولة والإقدام.

* من أهل المعرفة والبصيرة والإيمان.

* من دعاة الحركة الحسينيَّة بالكوفة.

* أرسله مسلم بن عقيل عليه السلام برسالة إلى الحسين عليه السلام.

* لازم الحسين عليه السلام في مكة وجاء معه إلى كربلاء.

* أحجم عنه جيش الكوفة بأجمعه لما برز.

* ألقى درعه ومغفره وشدّ عليهم.

* جعل يطارد أكثر من مائتين منهم ثم انعطفوا عليه فقتلوه.

لو بلغوا ألفاً

وإذا كانت العرب يثمّنون بعض أبطالهم، ويعدّون الواحد منهم بألف، فهناك أشخاص في المسلمين يرجح الواحد منهم على الألوف؛ فمالك الأشتر رضوان الله عليه كما قالوا: هزمت حياته أهل الشام، وهزم موته أهل العراق[١].

فرجل واحد لإيمانه، وبصيرته، وشجاعته، وتفانيه في سبيل المبدأ يكون له هذا الأثر الكبير في النصر.

ونظير هذا البطل قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي عليه الرحمة؛ فقد روى البلاذري عن صالح بن كيهان قال: عزل علي قيس بن سعد عن مصر، فلحق بالمدينة، وبها مروان، والأسود بن أبي البختري، فبلغه عنهما أمر خافه وخشي أن يأخذاه فيقتلاه، أو يحبساه، فركب راحلته وأتىٰ علياً، فكتب معاوية إلى مروان، والأسود يعنّفهما ويقول: أمددتما علياً بقيس ورأيه ومكيدته، والله لو أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيساً إليه[٢].

وليس مالك وقيس وحدهما بهذه الصفة والمنزلة، بل هناك أشخاص تقدّموهما في الزمن وآخرون تأخروا عنهما، وكلهم يمثل هذه المرتبة.

---

(١) الكنى والألقاب: ج٢، ص٣٠. البيان والتبيين: ج٣، ص٢٠٨.
(٢) أنساب الأشراف: ج٢، ص٣٠١.

فالذين تقدّموا: أبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو الكندي، وعمار ابن ياسر، وخزيمة بن ثابت رضوان الله عليهم، في آخرين.

والذين تأخروا عنهم: حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عقيل، والمختار ابن أبي عبيدة الثقفي رضوان الله عليهم، في آخرين.

وهؤلاء هم حملة راية الإسلام، والمدافعون عنها ببطولة، وإيمان.

وعابس بن أبي شبيب الشاكري رضوان الله عليه من هذه الطبقة المؤمنة المجاهدة.

وشاء المهيمن أن تكون أسرة بني شاكر ـ وهم بطن من همدان ـ كلهم بهذه الصفة إيماناً، وبطولة، وتفانياً في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالىٰ.

فقد كانوا من شجعان العرب وحماتهم، وكانوا يلقبون بـ (فتيان الصباح)وفيهم يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفّين: لو تمّت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته[1].

وناهيك بهذه الكلمة العظيمة شرفاً، وفخراً لهذه الأسرة الكريمة.

---

(١) إبصار العين: ص٨٨.

في الكوفة

والكوفة من بين الأمصار الإسلاميّة، كانت كتبها تتوالىٰ على الإمام الحسين عليه السلام، مستنهضة له، منذ عهد معاوية، وكان عليه السلام يعتذر منهم لما بينه وبين معاوية من عهد، هو ملزم به ـ يشير إلى صلح الإمام الحسن عليه السلام ـ.

وحين بلغ الكوفيِّين هلاك معاوية أخذت كتبهم تتلاحق على الحسين عليه السلام، حتى اجتمع عنده إثنا عشر ألف كتاب، فلم ير بدّاً من الإجابة، فأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل عليه السلام ممثلاً وسفيراً.

قدم مسلم الكوفة، وأسرع أهلها لبيعته، وعقدت الحفلات الترحيبية لمقدمه، وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، ويخطب خطباؤهم مرحّبين به، موطّنين أنفسهم على نصرته.

وفي بعض هذه الحفلات قام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرّك منهم؛ والله أحدّثك عمّا أنا موطّن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم، حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله.

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال: رحمك الله قد قضيت ما في

نفسك بواجز من قولك. ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلّا هو على مثل ما هذا عليه.

ثم قال الحنفي مثل ذلك[١].

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٢].

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٩٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

شوذب بن عبد الله الشاكري

مرّ عليك أن أصحاب الحسين عليه السلام كانوا سادة المسلمين وخيارهم وشجعانهم، جمعوا صفات الكمال، وتسابقوا في المكارم ومعالي الأمور، ولم تكن استجابتهم لسيد الشهداء عليه السلام في ذلك اليوم العصيب وليدة الصدفة، بل كانت نتيجة إعدادهم الروحي طيلة الفترة التي عاشوها، وحصيلة عقيدة راسخة استقاموا عليها.

ومن هؤلاء الأبطال: شوذب، فقد كان كما يقول المؤرِّخون: من رجال الشيعة ووجوهها، ومن الفرسان المعدودين، وكان حافظاً للحديث، حاملاً له عن أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وكان من الرجال المخلصين، وداره مألف للشيعة يتحدثون فيها فضل أهل البيت[2]. وكان متقدّماً في الشيعة[3].

وفي يوم عاشوراء، أقبل عابس على شوذب يسأله: يا شوذب! ما في نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع، أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقتل.

قال: ذلك الظن بك، أمّا الآن فتقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان

---

(١) إبصار العين: ص٩٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣١٢. وبقية كتب المقاتل.

(٣) الحدائق الوردية: ج١، ص١٢٦.

معي الساعة أحد أنا أولى به منّي بك لسرّني أن يتقدّم بين يدي حتى أحتسبه، فإن هذا اليوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب.

تقدّم شوذب فسلّم على الحسين ثم مضى فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه[١].

رحم الله هذه الصفوة الطيّبة، وأخذ الله بأيدينا إلى انتهاج نهجهم، والسير على هداهم، والاقتداء بهم.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٤.

نطلب الأجر

مرّ عليك آنفاً كلام عابس بن شوذب (فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه. . . إلخ).

حقاً إن هذه الكلمة تجعل هذا الرجل في صفوف الأولياء، بل الأنبياء، فرجل يحرص هذا الحرص على طلب الأجر والثواب في مثل ذلك الموقف المدهش جدير أن يكون في المرتبة العليا من قدّيسي الإسلام وعبّاده.

إن عابساً ـ كما ستعرف ـ أشجع أهل الكوفة، وعادة الشجعان أن يتميزوا بغلظة القلب، وسفك الدماء، أما هذا اللون من الحرص على طلب الثواب فلا يعرفه إلّا الذين يعكفون في المساجد على صلاتهم وتلاوتهم. لكن أصحاب الحسين عليه السلام جمعوا المكارم بأسرها، فهم أعبد الناس، وأشجعهم، وأعلمهم. . الخ.

وإذا كان هذا الرجل صاحب المواقف المشرّفة في الجهاد، والعمل لإعلاء كلمة الله سبحانه، والذي سوف يستشهد بعد دقائق مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وناهيك بها من مرتبة ـ يحرص هذا الحرص على الأجر، فهو يريد أن يقدّم صاحبه فيقتل ليدخل عليه بذلك الحزن فيزداد أجراً وثواباً من الله سبحانه، فلماذا لا نحرص أنا وأنت بعض هذا الحرص على طلب الثواب وليس لنا ماضي عابس، ولا خاتمته؟

واعلم أعزّك الله أن الله تعالى أخفى رضاه في طاعته، فلا تزهد في طاعة تتمكّن منها، فلعلّها تكون سبباً لنجاتك.

ونسأله سبحانه ببركة هذه الصفوة أن يأخذ بأيدينا إلى السير في دربهم، والعمل على نهجهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ـ ٨.

الشهادة

وبعد أن سقط خمسون شهيداً في الحملة الأولىٰ من أصحاب الحسين عليه السلام أخذوا يبرزون للحرب وحداناً، أو على شكل مجموعات صغيرة، وربما خرج الأخوان والصديقان فيقاتلان ويستشهدان معاً. وربما قدّم الأخ أخاه، والحميم حميمه، حتى إذا قتل خرج من بعده.

وبعد مقتل شوذب رضوان الله عليه أقبل عابس على الحسين عليه السلام وهو يقول: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسىٰ على ظهر الأرض قريب، ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحب إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، أُشهد الله أني على هديك وهدي أبيك.

ثم مشىٰ بالسيف مصلتاً نحوهم، وبه ضربة على جبينه.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة عن رجل من بني عبد من همدان يقال له: ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم، قال: لما رأيته مقبلاً عرفته، وقد شاهدته في المغازي، وكان أشجع الناس، فقلت: أيّها الناس، هذا أسد الأسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجنّ إليه أحد منكم.

فأخذ ينادي: ألا رجل لرجل!. فقال عمر بن سعد: إرضخوه بالحجارة. قال: فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقىٰ درعه

ومغفره، ثم شدّ على الناس، فوالله لرأيته يكَرد[١] أكثر من مائتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل، قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة هذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول: أنا قتلته، فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد، ففرق بينهم بهذا القول[٢].

---

(١) كرد ـ القوم: صرفهم وردّهم: مجمع البحرين: ج٣، ص١٣٧.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٤.

كلمات العلماء والعظماء

لو أراد متتبِّع أن يجمع كلمات المؤرِّخين وأصحاب السِّيَر والتراجم، وغيرهم من العلماء في هذا الشهيد وإخوانه الأبطال لحصل له كتاب مستقل تزيد صفحاته على هذه السلسلة كلها، لما يتمتعون به رضوان الله تعالىٰ عليهم من صفات ومزايا تجعلهم في الرعيل الأول من المجاهدين، ونحن نقتصر على:

١ ـ قال الإمام المهدي عليه السلام في زيارة الناحية:

السلام على عابس بن أبي شبيب الشاكري[١].

٢ ـ قال أبو القاسم النراقي: عابس بن شبيب الشاكري من حواريِّي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قتل معه[٢].

٣ ـ قال الشيخ عبّاس القمي:

كان عابس أشجع الناس، ولما خرج يوم عاشوراء إلى القتال لم يتقدّم إليه أحد، فمشى بالسيف مصلتاً نحوهم، وبه ضربة على جبينه، فأخذ ينادي: ألا رجل ألا رجل، فنادى عمر بن سعد: ويلكم! إرضخوه بالحجارة، فرمي بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شدّ على الناس، وكأنّ حسان بن ثابت قصده في قوله:

يلقى الرماح الشاجرات بنحره	ويقيم هامته مقام المغفر
ما أن يريد إذا الرماح شجرنه	درعا سوى سربال طيب العنصر

---

(١) الإقبال: ص٤٧.

(٢) شعب المقال: ص٦٨.

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا فهدمت ركن المجد إن لم تعقر[١]

٤ ـ قال الشيخ محمّد السماوي:

كان عابس من رجال الشيعة، رئيساً، شجاعاً، خطيباً، ناسكاً، متهجِّداً، وكان بنو شاكر من المخلصين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

٥ ـ قال الشيخ ذبيح الله المحلاتي:

من الشجعان المعروفين، ورئيس الفرسان المتحمّسين، وكان شخصاً عابداً، متهجداً، يحيي الليل، ومن الطراز الأول في محبّة أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

٦ ـ قال عبّاس محمود العقاد:

فلما برز عابس بن أبي شبيب الشاكري بعد ذلك، وتحدّاهم للمبارزة، تحاموه لشجاعته، ووقفوا بعيداً منه، فقال لهم عمر: ارموه بالحجارة، فرموه من كل جانب، فاستمات وألقى بدرعه ومغفره، وحمل على من يليه فهزمهم، وثبت لجموعهم حتى مات[٤].

٧ ـ قال الشيخ عبد الواحد المظفري:

فهو عريق في الشجاعة من حيث رهطه ومن حيث قبيلته، وهو أمر محقق عند العرب[٥].

٨ ـ قال باقر شريف القرشي:

وعابس الشاكري كان من أسرة عريقة في الشرف والنبل، عرفت بالشجاعة، والإخلاص للحق. . وكان عابس في طليعة أسرته، ومن أفذاذهم[٦].

---

(١) سفينة البحار: ج٢، ص١٤٧.

(٢) إبصار العين: ص٨٧.

(٣) فرسان الهيجاء: ج١، ص١٨٠.

(٤) أبو الشهداء: ص١٨٢.

(٥) الأمالي المنتخبة: ص١٣٧.

(٦) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢٢٧.

نهاية المطاف

قرأت في هذه الصفحات نموذجاً عالياً للإيمان الصادق، والجهاد المتواصل في سبيل الله؛ والاستماتة من أجل إعلاء كلمته سبحانه وتعالى، والدفاع عن أوليائه وأحبَّائه صلوات الله عليهم أجمعين.

إن حياة هذا الشهيد ـ لاسيما في يومه الأخير ـ مفخرة من مفاخر ماضينا المجيد، وخليق بأمَّة فيها مثل عابس إيماناً وبطولة، أن تنهض اليوم نهضة دينية، لتستعيد ماضيها المجيد، وعزّها التليد.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

زهير بن القين البجلي

رضوان الله عليه

الإهداء

سيدتي دلهم بنت عمرو

كان لموقفك المشرّف في الساعة الحاسمة الأثر الكبير في سعادة زوجك الشهيد، وخلوده مع الخالدين. فإليك أرفع كتابي هذا إكباراً لإيمانك وحبك لأهل البيت عليهم السلام.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

نقدّم في هذا الكتاب جانباً من مأساة كربلاء، وترجمة سريعة لبطل من أبطالها، وشهيد من شهدائها الخالدين.

ولعلّ أهم ما في هذا الكتاب رجوع زهير رضوان الله عليه إلى جادّة الحق بعد أن اتضحت له معالم الطريق، وتبيّن له نهج السعادة والنجاة.

رجع زهير إلى الحسين عليه السلام في وقت كان الرجوع إليه عليه السلام فيه الموت المحتّم والشهادة.

لقد آثر هذا الرجل الموت في سبيل الحق على الحياة مع الباطل.

إن سيرة هذا الشهيد مدعاة لكل مسلم ـ مهما كان منحرفاً ـ إلى الرجوع إلى الحق، والتمسّك بالعروة الوثقى، والسير على هدي أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

إنّ كثيراً من التائهين يتبيّن لهم الطريق الصحيح ولكنّهم لا يرجعون إليه حفاظاً منهم على منفعة زمنية وغيرها، فيؤثرونها على الآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

وبعضهم ربما سوّف الرجوع إلى الله سبحانه مؤمّلاً فسحة العمر، فتسرع إليه المنية، وهو على الضلال، فيخسر الجنة، وذلك هو الخسران العظيم.

أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى انتهاج نهجه، والسير على هدى نبيّه ﷺ، متّعظين بسيرة هذا الشهيد العظيم. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

(١) سورة يوسف، الآية: ١٢١.

الشهيد في سطور

* أبوه: القين بن قيس الأنماري البجلي.
* من شجعان المسلمين.
* اشترك في الفتوحات الإسلاميّة.
* من الخطباء المعدودين.
* كان عثماني الرأي.
* التحق بالحسين عليه السلام في أثناء الطريق.
* جعله الحسين عليه السلام قائداً على الميمنة.
* له حملات كثيرة يوم عاشوراء.
* قتل مائة وعشرين رجلاً ثم استشهد.
* مشى لمصرعه الحسين عليه السلام وأبّنه.

عثماني

لم يكن عثمان بن عفان صاحب مذهب، وإمام طريقة، والمذاهب القائمة اليوم والتي انقرضت حدثت في القرن الثاني والثالث، فلم يدرك مؤسّسوها الرسول الأعظم ﷺ، بل ولم يدركوا الصحابة والتابعين.

إن سبب النسبة إلى بعض الأشخاص بـ(العثماني) هو تبنّيه فكرة مظلوميته.

لقد شهد العالم الإسلامي في السنوات الست الأخيرة من حياة عثمان اضطراباً عظيماً، فقد بدأ على الخليفة الضعف والوهن والشيخوخة، فتمادى الولاة ـ وجلّهم من بني أميّة ـ في ظلمهم وفجورهم، ورفع الصحابة أصواتهم مطالبين بالإصلاح، ومال الجمهور نحو جبهة المعارضة حتى أطاحوا بعثمان مقتولاً.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد قام بعض الصحابة وممن لهم اليد الطولىٰ في إضرام النار ضد الخليفة، والتحريض على قتله، والفتك به، إلى المطالبة بدمه، رافعين شعار (قتل عثمان مظلوماً).

وهذا من عجائب الدنيا، حتى قال بعض أهل البصرة لعائشة لما جاءت يوم الجمل نصرة لعثمان: كانت كتبك تأتينا خلاف هذا.

ونشأت من ذلك حروب طاحنة بين المسلمين كان ضحيتها الألوف، ونشأ من هذا وذاك فكرة مظلوميّة الخليفة، اعتنقها جماعة من المسلمين سمُّو بـ(العثمانية) كان من بينهم: زهير بن القين.

في الطريق

وبلغ يزيد استقامة الإمام الحسين عليه السلام بمكة، وموافاة أهل الأمصار الإسلاميّة له، ومبايعة أهل الكوفة له، فأنفذ عمرو بن سعيد بن العاص - الأشدق - في عسكر وأمّره على الحاج، وولّاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد[1].

علم الحسين عليه السلام ذلك، وكان في وضع يمكنه مجابهة هؤلاء ومقاتلتهم، ولكنّه خاف أن تنتهك حرمة البيت، فخرج من مكة يوم التروية - الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ - بعد أن خطب فيها معلناً دعوته.

سار موكب الحسين عليه السلام متجهاً نحو الكوفة، وفشلت المحاولات التي بذلت لصدِّه عن عزمه.

وكان هناك موكب آخر يسير بزعامة زهير بن القين رضوان الله عليه، مؤلفاً من نفر من البجليّين والفزاريّين.

والظاهر أن أهل هذا الموكب كانوا مجانبين للحسين عليه السلام، يكرهون مسايرته والنزول معه.

فعن بعض الفزاريِّين قال: كنا مع زهير بن القين البجلي، أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا

(١) المنتخب: ج٣٠٤. وجل كتب السِّيَر والمقاتل.

سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتى نزلنا يومئذٍ في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغدى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين حتى سلّم، ثم دخل، فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه.

قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو ـ امرأة زهير بن القين ـ قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟! سبحان الله، لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت.

قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً، قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدّم، وحمل إلى الحسين، ثم قال: أنت طالق، إلحقي بأهلك، فإنّي لا أحب أن يصيبك من سببي إلّا خيراً، ثم قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنّه آخر العهد؛ إنّي سأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر[١] ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من المغانم؟

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمّد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم؛ فأما أنا فإني أستودعكم الله[٢].

---

(١) بلنجر: ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، فتحها سلمان بن ربيعة ـ معجم البلدان: ج٢، ص٢٧٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٢٥.

المرأة الصالحة

لقد صدقت الحكمة القائلة: (إنّ خلف كل عظيم امرأة) فمن سبر التاريخ وجد جلّ الأعلام، والأبطال، ورجال الفكر، حالفهم الحظ بالاقتران بزوجات صالحات، كان لسيرتهنّ الأثر الكبير في دفعهم نحو المثل العليا والفضيلة.

فهي وإن كانت دون الرجل رتبة لكن سلوكها داخل البيت يشجّعه للسير قدماً نحو المعالي، والتخطّي نحو طريق الخير، والصلاح.

وقد اهتم الإسلام اهتماماً عظيماً بالمرأة، وصلاحها، وجعل الرسول الأعظم ﷺ من سعادة المسلم الاقتران بامرأة تعينه على أمر الآخرة. فقد قال ﷺ: من أوتي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه، واخراه، فقد أوتي في الدنيا حسنة، ووقي عذاب النار[1].

ومن هؤلاء النساء القلائل: دلهم بنت عمرو ـ زوجة زهير بن القين ـ رضوان الله عليهما.

وقد مرّ عليك آنفاً كلامها مع زهير حينما استدعاه الحسين عليه السلام بعدما شاهدت امتناعه عن الذهاب أوّلاً، ثم استجابته لكلامها، فكان ذلك اللقاء مع الحسين عليه السلام الخطوة الأولىٰ نحو السعادة الأبديَّة، والمجد الذي لا يدانيه مجد.

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص٢٩٨.

وخلّد التاريخ دلهم بنت عمرو رضوان الله عليها لموقفها المشرّف في نصرة الحق، والتضحية لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى بأعز ما تملك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1].

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ـ ٨.

ألف قتلة

هناك واجبات تتعلق بكل فرد نحو جهات متعدِّدة، فواجب نحو الله سبحانه وتعالىٰ، وواجب نحو العائلة، وثالث بالنسبة للمجتمع، وهكذا. وهناك حبّ يغمر القلب فيعامل الحبيب محبوبه بأضعاف الواجب، خصوصاً إذا بلغ الحبّ حدّ الهيام، وطبيعي لا يعرف هذا الحب إلّا من يكابده، ويعيش بنوره.

فقد يكون هذا الحبّ لله سبحانه وتعالىٰ، أو لشخص آخر، أو جهة معيّنة. وتوضيحاً لما مرّ: فالواجب من الصلاة سبعة عشر ركعة يومياً، أما بعض المحبّين يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة[1] وهكذا يفعل المحبّون الآخرون مع محبوبيهم.

وأصحاب الحسين عليه السلام بلغ حبّهم للحسين عليه السلام أقصى غاية حتى أن عابساً قال للحسين عليه السلام: أما والله ما أمسىٰ علىٰ ظهر الأرض قريب، ولا بعيد أعزّ عليّ، ولا أحبّ إليّ منك[2].

ويقول مسلم بن عوسجة للحسين عليه السلام لما أذن لهم بالانصراف: أما والله، لو قد علمت أني أقتل، ثم أحيىٰ، ثم أحرق، ثم أحيىٰ، ثم أذرّى،

---

(١) ذكر أهل السِّيَر والتاريخ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام، والإمام زين العابدين عليه السلام. انظر أئمتنا، المجلّد الأول.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٤.

ثم يفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين رحمة الله عليه فقال: والله لوددت أني قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله عزّ وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك[١].

---

(١) الإرشاد: ص٢٣١.

خطبته

وأصبح الصباح، وصلى الحسين عليه السلام بأصحابه ثم خطبهم قائلاً: إن الله قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر[١].

ثم صفّهم للحرب، وصف ابن سعد أصحابه، ورتّبهم في مراكزهم، وقد ملأوا أرض كربلاء خيلاً، ورجالاً.

وأقبل عليه السلام نحو أهل الكوفة يخطبهم واعظاً، ومرشداً، وقد ذكر المؤرِّخون، وأهل المقاتل للحسين عليه السلام خطبتين في ذلك اليوم هما من أروع التراث الإسلامي بلاغة وموعظة، بل لو اجتمع خطباء الدنيا وفصحائها على أن يأتوا بمثل خطب الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء لعجزوا عن ذلك، ولكنه ابن صاحب نهج البلاغة.

وخاف ابن سعد أن يهيمن الحسين عليه السلام على الموقف بخطبه، فقال: ويلكم! كلِّموه فإنّه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما قطع ولما حصر فكلموه[٢].

وبعد خطاب سيد الشهداء عليه السلام تقدّم بعض أصحابه يخطبون في أهل الكوفة.

تقدّم زهير بن القين رضوان الله عليه على فرس ذنوب وهو شاك في السلاح. فقال: يا أهل الكوفة إنذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على

(١) كامل الزيارات: ص٧٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج١، ص٢٥٣.

المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد، وملّة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمّة، وأنتم أمة؛ إن الله ابتلانا وإيّاكم بذريّة نبيّه محمّد ﷺ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلىٰ نصرهم، وخذلان الطاغية يزيد، وعبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا سوء سلطانهما كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم، أمثال حجر ابن عدي وأصحابه، وهانيء بن عروة وأشباهه.

فسبّوه، وأثنوا على عبيد الله بن زياد، ودعوا له، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك، ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً.

فقال زهير: عباد الله! إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سميّة، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل، وبين يزيد، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.

فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال: أُسكت أَسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يا ابن البوال على عقبيه ما إيّاك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أفبالموت تخوفني؟! فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم؛ ثم أقبل على الناس رافعاً صوته فقال: عباد الله، لا يغرّنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي، وأشباهه، فوالله، لا تنال شفاعة محمّد ﷺ قوماً هرقوا دماء ذريّته، وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم، وذبّ عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه: إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه، وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت لهؤلاء، وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ[١].

أقول: اشتملت هذه الخطبة على الموعظة الحسنة، والاحتجاج بأفضل ما يكون، مضافاً لما فيها من روعة البلاغة، وحسن البيان، ممّا يستدلّ بها على رفعة الخطيب رضوان الله عليه، وتمكّنه من الصناعة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٤٤.

مع الحرّ

لأصحاب الحسين عليه السلام حملة كبرى في بدء النهار اشتركوا فيها بأجمعهم، وصرع فيها أكثرهم، كما أن للطالبيِّين حملة كبرى بعد مقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، استشهد فيها بعضهم.

لقد استشهد في الحملة الأولى من أصحاب الحسين عليه السلام خمسون شخصاً، ثم صاروا بعدها يبرزون وحداناً، أو على شكل مجموعات صغيرة، ولست أعرف السبب في جعل الحسين عليه السلام خطة الحرب بهذا الشكل، ولعلّه ـ والله أعلم ـ أراد تطويل ساعات الحرب ليتبصّر متبصّر، ويهتدي ضال، أو أراد انتهاءها قرب المساء لينشغلوا عن العائلة بعض الشغل، فلا يمعنوا في قتل الأطفال والنساء، أو لأمور أخرى رآها عليه السلام، وكيف ما كان فقد ذكر أهل المقاتل خروج الحرّ بن يزيد الرياحي للحرب ومعه زهير بن القين يحمي ظهره، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر واستنقذه.

ولم يذكر المؤرِّخون خروج غيرهما بهذه الكيفية، ولعلّ السبب في ذلك أن جيش الكوفة كان أكثر حقداً على الحرّ رضوان الله عليه من غيره، باعتباره كان أحد قادة الجيش، ثم انتقل إلى عدوهم، فهم أشدّ حرصاً على قتله، لذا خرج معه زهير يحمي ظهره.

وذكروا أن فرس الحرّ لمضروب على أذنيه وحاجبيه، والدماء تسيل منه وهو يتمثل بقول عنترة:

مـا زلـت أرمـيـهـم بـثـغـرة نـحـره   ولـبـانـه حـتـى تـسـربـل بـالـدم

وستمر عليك إن شاء الله شهادة الحرّ رضوان الله عليه.

أما زهير رضوان الله عليه فكان يقاتل ويرتجز:

أنـا زهـيـر وأنـا ابـن الـقـيـن   أذودكـم بـالـسـيـف عـن حـسـيـن

إن حـسـيـنـاً أحـد الـسـبـطـيـن

الشهادة

من قرأ السِّيَر، والتاريخ عرف لهذا الرجل مكانة سامية، وزعامة كبيرة، وبصيرة بالحرب، وبطولة قل أن تضاهيها بطولة، وأنه من أبطال الفتوحات الإسلاميّة.

وأنا ذكرت في مقدمة هذه السلسلة أن أصحاب الحسين عليه السلام كانوا جميعهم بمنزلة رفيعة من العلم، والفضل، والدين، والشجاعة، فقد جمعوا الصفات الغر، وإن نصرتهم لسيد الشهداء عليه السلام، وحظوتهم بالشهادة لم تكن اعتباطاً بل كانت عن تأهيل، وجدارة استحقوها لطهارتهم، وإخلاصهم للمولى جلّ شأنه.

لقد مرّ عليك آنفاً خروج الحرّ رضوان الله عليه للحرب، وزهير يحمي ظهره، وبعد مقتل الحرّ رضوان الله عليه رجع زهير إلى مركزه، وبعد الزوال، خرج سلمان بن مضارب البجلي ـ ابن عم زهير ـ فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه، ثم خرج بعده زهير، فوضع يده على منكب الحسين عليه السلام، وقال مستأذناً:

أقدم هديت هادياً مهديا فاليوم ألقى جدّك النبيّا
وحسنا والمرتضى عليا وذا الجناحين الفتى الكميّا
وأسد الله الشهيد الحيّا

فقال الحسين عليه السلام: وأنا ألقاهما على أثرك[1].

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٠٦. وبقية كتب المقاتل.

فجعل يقاتل قتالاً لم ير مثله، ولم يسمع بشبهه، وأخذ يحمل على القوم، وهو يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين

إن حسينا أحد السبطين من عترة البر التقي الزين

ذاك رسول الله غير المين أضربكم ولا أرى من شين

يا ليت نفسي قسمت قسمين[١].

فقتل مائة وعشرين، ثم عطف عليه كثير بن عبد الله الشعبي، والمهاجر ابن أوس فقتلاه.

فوقف عليه الحسين عليه السلام مؤبّناً وقال: لا يبعدنك الله يا زهير، ولعن الله قاتليك، لعن الذين مسخوا قردة، وخنازير[٢].

(١) أعيان الشيعة: ج٤، ص٢٣٣. وبقية كتب المقاتل.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣٠٦. وبقية كتب المقاتل.

كلمات العلماء والعظماء

إن رجلاً يختار الشهادة على الحياة بعد أن اتضحت له معالم الطريق، نابذاً فكرة عاشها أعواماً طويلة، لجدير أن يخلّد مع الخالدين، ويوفّى حقه كاملاً غير منقوص، فتعرف الأمة أياديه البيضاء في خدمة الرسالة الإسلاميّة فتنهج نهجه، وتقتفي أثره، وبذلك تحظى بالسعادتين.

نعود فنذكر بعض كلماتهم:

١ ـ قال الإمام المهدي عليه السلام في زيارة الناحية:

السلام على زهير بن القين البجلي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا!! لا أراني الله ذلك اليوم[(١)].

٢ ـ قال الحسن بن علي بن داود الحلي:

زهير بن القين قتل بكربلاء رحمه الله، عظيم الشأن[(٢)].

٣ ـ قال أبو القاسم النراقي:

زهير بن القين، من حواريّي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، قتل معه بكربلاء[(٣)].

---

(١) الإقبال: ص٤٦.
(٢) كتاب الرجال: ص٩٩.
(٣) شعب المقال: ص٦١.

٤ ـ قال الشيخ عبد الله المامقاني:

وقد ذكر أهل السِّيَر: إن زهيراً هذا كان رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً، له في المغازي مواقف مشهورة، ومواطن مشهودة[١].

٥ ـ قال الشيخ محمّد السماوي:

كان زهير رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً، له في المغازي مواقف مشهورة، ومواطن مشهودة، وكان أوّلاً عثمانيّاً، وانتقل علويّاً[٢].

٦ ـ قال الشيخ ذبيح الله المحلاتي:

يجب أن يعلم أن زهير بن القين من الرجال المهمين، ومن الفرسان الأسود، ومن الخطباء، عالي القدر، وكان في ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام، ومن أهل رأيه ومشورته، وموضع سرّه، ومحل شكايته، وكان كاملاً، وعارفاً بعواقب الأمور[٣].

٧ ـ قال خالد محمّد خالد في مجيء الحسين عليه السلام إلى كربلاء:

ومضى في صحبه وأهله وخاصّته، والنصير الجديد، والعظيم، زهير بن القين[٤].

٨ ـ قال إسماعيل اليوسف:

وخرج زهير بن القين، وكان بطلاً مشهوراً، فقاتل قتال الأشداء، حتى استطاع قتل عشرات من القوم، وجرح الكثيرين[٥].

---

(١) تنقيح المقال: ج١، ص٤٥٢.
(٢) إبصار العين: ص١١٤.
(٣) فرسان الهيجاء: ج١، ص١٤٢.
(٤) أبناء الرسول في كربلاء: ص١٣٣.
(٥) شهيد كربلاء الحسين بن علي عليه السلام: ص٧٩.

٩ ـ قال السيد عبد المجيد الحسيني:

تقدّم زهير فجعل يقاتل قتالاً شديداً لم ير مثله قط، ولم يسمع بشبهه[١].

١٠ ـ قال الشيخ عبد الواحد المظفري:

زهير بن القين البجلي، الشهيد مع الحسين عليه السلام بطف كربلاء، وهو من وجوه أهل الكوفة، وأعيان التابعين، وأعلام أهل العراق المعروفين بالرئاسة، والشرف، والشجاعة، ومن العلماء الفقهاء، ورواة الحديث الثقاة، ومن الخطباء، والشعراء، والأبطال، والقواد الذين امتازوا بجميع المزايا[٢].

١١ ـ قال باقر شريف القرشي:

ومن أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين صهر نفوسهم الإيمان بالله زهير ابن القين، كان يتعجّل الرواح إلى الجنة لمصافحة الرسول صلى الله عليه وآله، وقد اتّجه صوب الإمام وهو جذلان مسرور بما يقوم به من التضحية في سبيله[٣].

---

(١) ذخيرة الدارين: ص١٨٥.
(٢) الأمالي المنتخبة: ص٥٦.
(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢٢٤.

نهاية المطاف

وهذه الصفحات على قلّتها مدعاة لي ولك للسلوك في طريق الاستقامة، وانتهاج المسلك الصحيح، وإيثار جانب الصواب وإن كان متعباً، فما متاع الدنيا في الآخرة إلّا قليل، وبغير هذا وذاك فالكتاب إشغال لي ولك لا طائل منه.

إن هذا الشهيد رضوان الله عليه وإخوانه الشهداء، حظوا بالسعادة الكبرى، والنعيم الدائم، ومجاورة رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله، وناهيك بها سعادة عظمى، وتجارة مربحة، أضف إليها الذكر الطيّب، والتاريخ الخالد عبر القرون والأجيال.

أخذ الله بأيدينا إلى منهج الحق والصواب ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

الحرّ بن يزيد الرياحي

رضوان اللَّه عليه

الإهداء

إليك يا سيد الشهداء

أرفع هذا الكتاب مستعرضاً فيه حياة نصيرك (الحرّ) مؤملاً منك القبول.

عبدك

علي محمّد علي دخيّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

أُقدم للقارىء الكريم في هذه الصفحات موجزاً لحياة بطل من أبطال الجهاد، والإيمان، والتفاني في سبيل المبدأ، والدفاع عن الحق.

إن حياة هذا الشهيد حَرِيَّةٌ بالدرس، جديرة بالبحث، يجب أن نأخذ منها العبر والدروس، فهو كما يقول للحسين عليه السلام: كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك[1].

لقد خرج في جيش لصدّ الحسين عليه السلام، ثم تجلىٰ له الموقف في آخر ساعة فالتحق بالحسين عليه السلام.

إن التاريخ يحمل الكثير من هذه المفارقات، فطالما ترك الجنود ـ بل والقادة ـ صفوفهم ملتحقين بصفوف الخصم بعد أن يتبين لهم أن النصر حليفهم فيكسبوا بذلك نفوسهم، وناهيك بها مكسباً.

ولكن الحرّ كان موقفه بعكس هذا، فقد ترك الجيش الجرَّار، والإمرة والسلطان ليقتل بين يدي الحسين عليه السلام. أنا لا أقول إن موقف الحرّ رضوان الله عليه بجانب الحسين مستمسك تاريخي على أحقّيّة الحسين عليه السلام، فالحسين صلوات الله عليه أسمى من أن يستدلّ على أحقيته بالحرّ رضوان الله عليه، وغير الحرّ.

---

(١) اللهوف: ص٤٤.

ولكني أقول: إن موقف الحرّ رضوان الله عليه يدعونا إلى الرجوع إلى الله تعالىٰ في كل وقت، وعدم التمادي في الباطل، فطالما اتضحت الحقيقة لباحث، وتبيّن له الطريق الذي لا عوج فيه، ولكنّه ينكمش خوفاً على دنياه، أو حفاظاً على منزلته الاجتماعية، أو حرصاً منه على جاه وسمعة، والحق أحق أن يتبع ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

ارتجز الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء:

الموت أولىٰ من ركوب العار   والعار أولىٰ من دخول النار

أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى التمسّك بدينه، والاهتداء بهديه، والاعتصام بحبله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

الشهيد في سطور

* أبوه: يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة التميمي اليربوعي الرياحي.

* من أشراف العرب ووجوهها.

* من شجعان المسلمين.

* أرسله ابن زياد لصد الحسين عليه السلام عن الكوفة.

* التقىٰ بالحسين عليه السلام بذي حسم.

* أخذ يساير الحسين عليه السلام حتى أنزله كربلاء.

* إلتحق بالحسين عليه السلام صبيحة يوم عاشوراء.

* في بعض الكتب: له ولد اسمه (بكير) لحق أيضاً بالحسين عليه السلام؛ وجاهد جهاد الأبطال حتى استشهد رضوان الله عليه.

* ضجّ أهل الكوفة لكثرة من قتلهم الحرّ رضوان الله عليه.

* مشىٰ لمصرعه الحسين عليه السلام وأبّنه.

* قبره: في ضواحي كربلاء ـ منفرداً عن بقية الشهداء ـ عليه بناء رائع، وحرم جليل، وقبّة عالية، يزدحم لزيارته المسلمون من أنحاء العالم الإسلامي.

لصد الحسين عليه السلام

كانت الكوفة تنتظر قدوم الحسين عليه السلام، وتكاد تكون في قبضة أنصاره، وبعد دخول ابن زياد، وهيمنته على البلد، وقتله لمسلم بن عقيل سلام الله عليه، وهانىء بن عروة رضوان الله عليه، أخذ يتتبع الشيعة قتلاً وحبساً، وأيضاً أخذ يخطط لقتل الحسين عليه السلام.

أرسل الحصين بن نمير التميمي ينظّم الخيل ما بين القادسية إلى خفان ومنها إلى القطقطانة[1].

وأرسل الحرّ على رأس ألف فارس لصدّ الحسين عليه السلام عن الكوفة.

وذكر أهل المقاتل: إن الحرّ لما انحاز إلى الحسين عليه السلام يوم عاشوراء قال له: وجهني عبيد الله إليك، خرجت من القصر فنوديت من خلفي أبشر بخير، فالتفت فلم أر أحداً، فقلت: والله ما هذه بشارة وأنا أسير إلى الحسين عليه السلام، وما أحدث نفسي باتباعك.

فقال عليه السلام: أصبت أجراً وخيراً[2].

وأنا أترك للقارىء الكريم الحكم على نوعية هذا النداء، فهل هو نداء الضمير؟ أو كلمة سمعها من متكلم عن طريق المصادفة؟ أو هو نداء العناية الإلهية؟.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢١٩. وبقية كتب المقاتل.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لابن نما: ص٤٤ وغيره من المقاتل.

وكيف ما كان فقد خرج الحرّ يقود ألف فارس ليمنع الحسين عليه السلام من دخول الكوفة.

يقطع الحرّ الفيافي باتجاه الحجاز، ويسير الحسين عليه السلام بموكبه متجهاً نحو الكوفة.

روىٰ أبو مخنف عن عبد الله بن سليم، والمنذر بن المشمعل الأسديِّين قالا: أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شراف، فلما كان في السحر، أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم ساروا منها، فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم أنّ رجلاً قال: الله أكبر.

فقال الحسين عليه السلام: الله أكبر، لِمَ كبرت؟

قال: رأيت النخل.

فقال له الأسديان: إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط.

فقال لنا الحسين: فما تريانه رأىٰ؟

قلنا: نراه رأى هوادي الخيل.

فقال: وأنا والله أرى ذلك، ثم قال: ما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟

فقلنا له: بلىٰ، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت إليه فهو كما تريد.

فأخذ ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع ما أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبيّناها وعدلنا، فلما رأونا قد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا، كأنّ أسنتهم اليعاسيب، وكأن راياتهم أجنحة الطير.

قالا: فاستبقنا إلىٰ ذي حسم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين فأمر بأبنيته فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي،

حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون أسيافهم.

فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً[١].

فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم، وأقبلوا يملأون القصاع، والأنوار والطساس من الماء، ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيه ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً، عزلت عنه وسقوا آخر، حتى سقوا الخيل كلها.

قال هشام: حدثني لقيط عن علي بن الطعان المحاربي قال: كنت مع الحرّ بن يزيد فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: انخ الراوية، والراوية عندي السقاء، ثم قال: يا ابن أخي انخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين اخنث السقاء، أي أعطفه. قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل. قال: فقام الحسين فخنثه فشربت، وسقيت فرسي.

وكان مجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أن عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي، وكان على شرطه، فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالح، فينظم ما بين القطقطانة إلى خفّان، وقدّم الحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية، فيستقبل حسيناً.

قال: ولم يزل موافقاً حسيناً حتى حضرت الصلاة ـ صلاة الظهر ـ فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذّن فأذّن، فلما حضرت الإقامة

(١) إنّ الفرس العطشان إذا أكثر من شرب الماء هلك؛ ومع علمه عليه السلام بأنّ القوم عليه لا له، فقد حفظ حياتهم بإروائهم من الماء، ودوابهم من الهلاك.

خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: أيها الناس، إنها معذرة إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإليكم، إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم، ان اقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدىٰ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، أنصرف عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم.

قال: فسكتوا عنه، وقالوا للمؤذن: أقم الصلاة، فأقام الصلاة، فقال الحسين عليه السلام للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلي أنت، ونصلي بصلاتك.

قال: فصلى بهم الحسين، ثم أنه دخل، واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه فدخل خيمة قد ضربت له، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد أصحابه إلى صفهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلها.

فلما كان وقت العصر، أمر الحسين أن يتهيأوا للرحيل، ثم أنه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر، وأقام، فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم، ثم سلّم وانصرف إلى القوم بوجهه: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإنّكم إن تتقوا الله، وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولىٰ بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور، والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتهم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم، انصرفت عنكم.

فقال له الحرّ بن يزيد: إنا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر.

فقال الحسين: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ.

فأخرج خرجين مملوئين صحفاً فنشرها بين أيديهم.

فقال الحرّ: فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين: الموت أدنىٰ إليك من ذلك. ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا.

فركبوا، وانتظروا حتى ركبت نساؤهم. فقال لأصحابه: انصرفوا بنا. فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف.

فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك ما تريد؟

قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل، أن أقول كائناً من كان، ولكن والله ما لي إلىٰ ذكر أمك من سبيل إلّا بأحسن ما يُقدر عليه.

فقال له الحسين: فما تريد؟

قال الحرّ: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين: إذاً والله ما أتبعك.

فقال الحرّ: إذن والله لا أدعك.

فترادّا القول ثلاث مرات، ولما كثر الكلام بينهما، قال له الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة، ولا تردّك إلى المدينة، تكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد[١].

والذي يلفت النظر في هذا الفصل هو صلاة الحرّ خلف سيد الشهداء،

---

(١) تاريخ الطبري، ج٦، ص٢٣٩.

فإنّها تدلّ على نهاية النبل، فهو يصلّي خلف رجل جاء لحربه، إنّ هذا الموقف يدلّ على طيب الرجل، وحسن سريرته، وعدم مبالاته بأميره.

وأيضاً: عدم ردّه على الحسين عليه السلام لما دعا عليه بالثكل قد لا يقل عن الموقف الأول نبلاً، وشهامة.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

الهداية

يبدأ قسم من الناس حياته بشكل، ويختمها بآخر، فربما كان ضالّاً في الأولىٰ، ويختم له بالهداية، وقد يكون العكس، فهو مهتد في البداية، وضال في النهاية، وفي التاريخ، ألف شاهد على ذلك.

فجيش الكوفة الذي قاتل الحسين عليه السلام كان بعضهم من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واشترك معه في حروبه، حتى أن شبث بن ربعي ـ قائد الرجالة لابن سعد ـ سُمع يقول: لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسددهم لرشد، ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبي طالب، ومع ابنه الحسن آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية، وابن سميّة الزانية، ضلال يا لك من ضلال[١].

ولست أدري السبب في ذلك هل هو التوفيق الإلهي، والعناية الربّانيّة للأولين، والطرد من ساحة الرحمة والقبول للآخرين؟ أو لموجبات استحقها هؤلاء، وهؤلاء، هو أعلم بها.

وأيضاً هناك علاقة بطهارة المولد وخبثه؟

وقد ترجع إلى عوامل نفسيّة، وتربويّة؟

وكيف ما كان، فالحرّ أول خارج على الحسين عليه السلام، وأخيراً شملته العناية الإلهية فحظىٰ بالسعادة الأبدية التي ليس فوقها سعادة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٠.

وفي يوم عاشوراء، وبعد أن صفّ كل من الحسين عليه السلام، وابن سعد جيشه للحرب، وبعد خطب سيد الشهداء، وأصحابه، أقبل الحرّ على ابن سعد قائلاً: أصلحك الله، أمقاتل أنت هذا الرجل؟!

فقال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطير الأيدي.

قال: فما لك في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟

فقال: أما والله لو كان الأمر لي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى.

فأقبل الحرّ حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه قرّة بن قيس الرياحي، فقال: يا قرّة! هل سقيت فرسك اليوم؟

قال: لا.

قال: أما تريد أن تسقيه؟

قال: فظننت والله أنّه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع، فخاف أن أرفعه عليه، فقلت: أنا منطلق فساقيه.

قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أطلعني على الذي يريد لخرجت معه.

فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً.

فقال له المهاجر بن أوس الرياحي: ما تريد يا ابن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت، وأخذه مثل العرواء[١].

فقال له يا ابن يزيد: إن أمرك لمريب، وما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما عدوتك، فما هذا الذي أرىٰ منك؟!!!

---

(١) العرواء: الرعدة من البرد والانتفاض.

قال: إنّي والله أخيّر نفسي بين الجنة، والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً، ولو قطعت، وحرّقت.

ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين عليه السلام.

فلما دنا منهم قلب ترسه.

فقالوا: مستأمن[١].

وذكر السيد ابن طاووس رحمه الله: ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام، ويده على رأسه، وهو يقول: اللّهمَّ إليك تبت فتب عليَ، فقد أرعبت قلوب أوليائك، وأولاد بنت نبيِّك[٢].

سلّم على الحسين وقال: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان؛ والله الذي لا إله إلّا هو ما ظننت أن القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أصانع القوم في بعض أمرهم، ولا يظنون أني خرجت من طاعتهم، وأما هم فسيقبلون من حسين هذه الخصال التي تعرض عليهم، ووالله إنّي لو ظننتهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإنّي قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترىٰ لي توبة؟

قال: نعم، يتوب الله عليك، ويغفر لك، فانزل.

قال: أنا لك فارساً خير مني راجلاً، أقاتلهم علىٰ فرسي ساعة، وإلى النزول يصير آخر أمري.

قال: فاصنع ما بدا لك[٣].

---

(١) إبصار العين: ص١٤٣. وبقية كتب المقاتل.
(٢) اللهوف: ص٤٣، وبقية كتب المقاتل.
(٣) إبصار العين: ص١٤٤، وبقية كتب المقاتل.

خطبته

كان من خطّة سيد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء التوجيه، والإرشاد، فكان عليه السلام يخطب فيهم واعظاً، وناصحاً، ومرشداً.

وربما كان يستعطف القوم ويحرّك القلوب، فهو يسألهم عمّا عليه من الملابس، والسلاح، وأنها ملابس رسول الله صلى الله عليه وآله، وسلاحه. وعمل أكثر من هذا: حمل إليهم طفله الرضيع يطلب له منهم شربة من الماء، ونجحت المحاولة، وأحدث عليه السلام الضجّة في عسكر ابن سعد، ولكن مبادرة حرملة بن كاهل لقتل الرضيع أفشل المحاولة.

وسلك أصحاب الحسين عليه السلام الخطّة نفسها في التوجيه، والإرشاد، فقد خطبوا، ووعظوا، ونصحوا. وقد مرّ عليك في هذه السلسلة بعض خطبهم رضوان الله تعالىٰ عليهم.

وأوّل عمل قام به الحرّ رضوان الله عليه عندما انحاز إلى معسكر الحسين عليه السلام هو خطبته في أهل الكوفة قائلاً: يا أهل الكوفة، لأمّكم الهبل والعبر، إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه. أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً،

ولا يدفع ضرّاً، وحلأتموه ونساءه، وصبيته، وأصحابه عن ماء الفرات الجاري، الذي يشربه اليهودي، والمجوسي، والنصراني، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلَّفتم محمّداً في ذريَّته، لا سقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا، وتنزعوا عمّا أنتم عليه من يومكم هذا، في ساعتكم هذه.

فحملت عليه رجَّالة ترميه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين عليه السلام[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٤٥.

الشهادة

يظهر للباحث أن مجيء الحرّ رضوان الله عليه إلى معسكر الحسين عليه السلام كان قبل بدء الحرب، وإن كان السيد ابن طاووس رحمه الله يرىٰ أن رجوعه كان أثناء الحرب، وبعد مقتل جماعة من أصحاب الحسين عليه السلام[١]، ولكن سياق الحوادث لا يساعد على ذلك.

فبعد الحملة الأولىٰ، ومقتل أكثر أصحاب الحسين عليه السلام، خرج الحرّ رضوان الله عليه إلى الحرب وخلفه زهير بن القين يحمي ظهره. فقاتل هو، وزهير قتالاً شديداً، فكان إذا شدّ أحدهما فإن استلحم شدّ الآخر حتى يخلّصه، ففعلا ذلك ساعة[٢].

والحرّ يرتجز:

إنّي أنا الحرّ ومأوى الضيف ... أضرب في أعراضكم بالسيف

عن خير من حلّ بأرض الخيف[٣]

وروى أبو مخنف: أن يزيد بن سفيان الثغري ـ من بني الحرث بن تميم ـ كان قال: أما والله، لو رأيت الحرّ حين خرج لأتبعته السنان. قال فبينا

---

(١) اللهوف: ص٤٤.
(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٥٢.
(٣) إبصار العين: ص١٤٥.

الناس يتجاولون ويقتتلون، والحرّ بن يزيد يحمل على القوم مقدماً، ويتمثل بقول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم

وإن فرسه لمضروب على أذنيه، وحاجبيه، وإن دماءه لتسيل، فقال الحصين بن نمير التميمي ليزيد بن سفيان: هذا الحرّ الذي كنت تتمنىٰ قتله. قال: نعم، وخرج إليه فقال له: هل لك يا حرّ في المبارزة؟

قال: نعم قد شئت، فبرز له.

قال الحصين: وكنت أنظر إليه فوالله لكأنّ نفسه كانت في يد الحرّ، خرج إليه فما لبث أن قتله.

وروى أبو مخنف عن أيوب بن مشرح الخيواني أنه كان يقول: جال الحرّ علىٰ فرسه فرميته بسهم فحشأته فرسه، فما لبث أن رعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب عنه الحرّ كأنّه ليث، والسيف في يده، وهو يقول:

ان تعقروا بي فأنا ابن الحرّ أشجع من ذي لبد هزبر

فما رأيت أحداً يفري فريه، فأخذ يقاتل راجلاً، وهو يقول:

آليت لا أُقتل حتىٰ أقتلا ولن أصاب اليوم إلّا مقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً مفصلاً لا ناكلاً فيهم ولا مهللاً[1]

قال الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله:

وبقي الحرّ يدير رحىٰ الحرب وحده، ويحصد الرؤوس، ويخمد النفوس، حتى قتل في حملته الأخيرة ثمانين فارساً من أبطالهم، فضجّ العسكر، وصعب عليهم أمره، فنادى ابن سعد بالرماة، والنبّالة فأحدقوا به من كل جانب حتى صار درعه كالقنفذ، هنالك اتّقدت نار الغيرة في كانون

(١) إبصار العين: ص١٤٥.

فؤاده، ووقف وقفة المستميت فنزل عن فرسه وعقرها لأنها لم تستطع الاقتحام من كثرة السهام، وأخذ يكر عليهم راجلاً إلى أن سقط على الأرض وبه رمق، فكرّ عليه أصحاب الحسين عليه السلام، واحتملوه حتى ألقوه بين يدي الحسين عليه السلام، فجعل الحسين يمسح الدم، والتراب عن وجهه ويقول: ما أخطأت أمك إذ سمّتك حرّاً، أنت الحرّ في الدنيا، والحرّ في الآخرة؛ ثم استعبر عليه السلام[1].

(١) انظر كتابه مقتل الحسين عليه السلام ص: ٤٠.

تثمين

كان الرسول الأعظم ﷺ يثمّن إيمان، وأعمال، وبطولات أصحابه اعترافاً بفضلهم، وتشجيعاً للآخرين للّحاق بهم، حتى عقد أصحاب الحديث أبواباً في كتبهم للأحاديث الواردة في الفضائل، فتجد مثلاً في كل كتاب حديث (باب فضائل علي بن أبي طالب سلام الله عليه)، (باب فضائل سلمان الفارسي رضي الله عنه)، . . . وهكذا.

وعلى هذا النهج، سار أئمّة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام في تثمين أعمال ومواقف بعض أصحابهم، فترى كتب الرجال مستفيضة بذلك، وعلى هذه الأحاديث اعتمد علماء الرجال في تزكية الأصحاب.

ولسيد الشهداء عليه السلام تثمين عام لأصحابه إذ يقول في خطبته ليلة عاشوراء: (فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى، ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر، ولا أوصل من أهل بيتي)[١].

وله عليه السلام تثمين خاص لبعضهم فهو يقول وقد وقف على مصرع زهير بن القين: لا يبعدنك الله يا زهير، ولعن قاتليك، لعن الذين مسخوا قردة، وخنازير[٢].

وروى الشيخ الصدوق عليه الرحمة مصرع الحرّ رضوان الله عليه وقال:

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٣٣٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣٠٦. وبقية كتب المقاتل.

فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: بخٍ بخٍ يا حرّ، أنت حرّ كما سميت في الدنيا والآخرة، ثم أنشأ الحسين عليه السلام يقول:

لنعم الحُرُّ حُرٌّ بني رياح صبور عند مختلف الرماح
ونعم الحُرُّ إذ فادى حسينا فجاد بنفسه عند الصباح[1]

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص١٤١.

كرامة

أكرم الله سبحانه وتعالى الشهداء بأنواع الكرامات، وحباهم بكل جميل، تعويضاً لهم عمّا أصابهم في الدنيا، فقد جعلهم سبحانه أحياء خالدين﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[2].

وحتى أجسامهم فقد أعفاها من البلىٰ، والتلاشي ـ شأن الأجسام الأخرى ـ فهي باقية ما بقي الدهر.

ولا ينبغي لمسلم أن يستبعد هذه الكرامة للشهداء، بعد أن أجمعت الأمة على ذلك؛ وفي حديث الأهرام المصرية وفراعنتها المحنّطين منذ آلاف السنين مقنع.

وإذا كان البشر يستطيع بعقاقيره أن يحفظ الأجسام هذه القرون المتطاولة فربّ البشر أقدر على ذلك.

قال السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله: ولقد حدّثني جماعة من الثقاة أن الشاه إسماعيل لما ملك بغداد، وأتى إلى مشهد الحسين عليه السلام، وسمع من بعض الناس الطعن على الحرّ، أتىٰ إلىٰ قبره وأمر بنبشه فنبشوه، فرأوه نائماً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

كهيئته لما قتل، ورأوا على رأسه عصابة مشدوداً بها رأسه، فأراد الشاه نور الله ضريحه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السِّيَر والتواريخ أن تلك العصابة دسمال[١] الحسين عليه السلام شدّ به رأس الحرّ لما أصيب في تلك الواقعة، ودفن على تلك الهيئة، فلما حلوا تلك العصابة جرى الدم من رأسه حتى امتلأ منه القبر، فلما شدوا عليه تلك العصابة انقطع الدم، فلما حلّوها جرى الدم؛ وكلما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم، فتبين لهم حسن حاله، فأمر فبني على قبره بناءً، وعيّن له خادماً يخدم قبره.

والذي يجود بنفسه في ذلك الوقت الضيق، ويقدم على القتل، وعلى أن يفدي الحسين عليه السلام بنفسه، لا شك في أن حاله من أحسن الأحوال[٢].

ونظير هذه الكرامة وقعت لحمزة بن عبد المطلب عليه السلام، فعن جابر بن عبد الله قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة، استصرخنا إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً[٣].

---

(١) دسمال: فارسية معربها: المنديل.
(٢) الأنوار النعمانية: ج٣، ص٢٦٦.
(٣) البداية والنهاية: ج٤، ص٤٣.

ويكفي في جلالة هذا الرجل تثمين سيد الشهداء عليه السلام له، وثناؤه عليه، فهو يغنيه عن كل مدح وإطراء. كما أن الطائفة مجمعة على مقبوليته عند الإمام عليه السلام، وأن مرتبته لا تقصر عن مراتب إخوانه الشهداء رضوان الله عليهم أجمعين.

نعود فنسجل بعض ما بين أيدينا من كلمات العلماء، والعظماء:

١ ـ قال الإمام المهدي عليه السلام في زيارة الناحية:

السلام على الحرّ بن يزيد الرياحي[١].

٢ ـ قال سبط ابن الجوزي:

وكان الحرّ بن يزيد اليربوعي من ساداتهم ـ يريد أهل الكوفة[٢].

٣ ـ قال السيد نعمة الله الجزائري:

إن كل خبر وأثر تضمن خروجه على الحسين عليه السلام، ومنعه له عن الرجوع، تضمّن توبته، وقبول الحسين عليه السلام لها، وأنه عليه السلام رثاه بأبيات من الشعر، في كتب الأحاديث والسِّيَر والتواريخ مسطورة، وقد ترحّم عليه بعد

---

(١) الإقبال: ص٤٦.
(٢) تذكرة الخواص: ص٢٥١.

قتله، وهذا متواتر، نقله الخلف عن السلف في كل عصر، بحيث لا يمكن إنكاره[١].

٤ ـ قال أبو القاسم النراقي:

الحرّ بن يزيد بن ناجية بن سعيد الرياحي، من بني رياح بن يربوع، من حواريّي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أرواحنا فداه، قتل معه بكربلاء[٢].

٥ ـ قال الشيخ محمّد طه نجف:

الحرّ بن يزيد بن ناجية بن سعيد، من بني رياح، حرّ طيّب الريح، سعيد، ناج من شر يزيد (لعنه الله)[٣].

٦ ـ قال الشيخ عبد الله المامقاني:

ومن سبر سيرته، وآدابه مع الحسين عليه السلام يعلم صدق نيّته، وخلوص إيمانه، حشرنا الله معه، ومع أشباهه بحق الحسين عليه السلام وأقرانه، صلوات الله عليهم[٤].

٧ ـ قال السيد محمّد هادي الحسيني الخراساني:

ولهذه العلة الغيبية، والسر الإلهي، جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ لهذا الشهيد السعيد نوع امتياز من بين الشهداء، ومزيد اختصاص من سائر سعداء كربلاء، وحيث خصّه الله ـ عزّ وجلّ ـ بمقام مخصوص، ومرقد مستقل، ومشهد منفرد، يتوجه إليه الأولياء والعلماء من أقصى بلادهم، ويزورونه لإجابة دعائهم، فيقضي الله حوائجهم عند مشهده، ويبلغ بفضله كل قاصد مقصده[٥].

---

(١) الأنوار النعمانية: ج١، ص٢٦١.
(٢) شعب المقال: ص٤٨.
(٣) اتقان المقال: ص٣٨.
(٤) تنقيح المقال: ج١، ص٢٦١.
(٥) كتابه (القول السديد في الحرّ الشهيد): ص٨١.

٨ ـ قال الشيخ مهدي المازندراني:

وكان الحرّ شريفاً في قومه، ورئيساً في الكوفة[1].

٩ ـ قال الشيخ محمّد السماوي:

وكان الحرّ شريفاً في قومه، جاهلية، وإسلاماً، فإن جدّه عتاباً كان رديف النعمان، وولد عتاب قيساً وقعنباً ومات فردف قيس للنعمان، ونازعه الشيبانيون، فقامت بسبب ذلك يوم الطخفة...[2].

١٠ ـ قال الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء:

وبقي الحرّ يدير رحى الحرب وحده، يحصد الرؤوس، ويخمد النفوس، حتى قتل في حملته الأخيرة ثمانين فارساً من أبطالهم، فضجّ العسكر، وصعب عليهم أمره... إلخ[3].

١١ ـ قال خير الدين الزركلي:

الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي، قائد من أشراف تميم، أرسله الحصين ابن نمير التميمي في ألف فارس من القادسية لاعتراض الحسين رضي الله عنه، في قصده الكوفة، فالتقى به، ولما أقبلت خيل الكوفة تريد قتل الحسين، وأصحابه أبى الحرّ أن يكون فيهم، فانصرف إلى الحسين، فقاتل بين يديه قتالاً عجيباً حتى قتل[4].

١٢ ـ قال الشيخ ذبيح الله المحلاتي:

كان من سادات، وشرفاء، ورؤساء الكوفة[5].

---

(١) معالي السبطين: ج١، ص٢٢٤.
(٢) إبصار العين: ص١٣٩.
(٣) كتابه مقتل الحسين عليه السلام: ص٤٠.
(٤) الأعلام: ج٢، ص١٨١.
(٥) فرسان الهيجاء: ج١، ص١١١.

١٣ ـ قال باقر شريف القرشي:

الذي استجاب لنداء الحق، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، فاستقبل الموت بثغر باسم، وسرور بالغ، لنصرة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل يقاتل أعنف القتال وأشدّه[١].

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢٢١.

نهاية المطاف

وبقدر ما تكون هذه الصفحات تاريخاً لجانب من مأساة ألطف، هي مدعاة لكل مسلم مهما كان منحرفاً إلى الرجوع إلىٰ طريق الاستقامة، والسلوك في طريق الله سبحانه وتعالى، وأن يجعل نصب عينيه حياة هذا المجاهد العظيم وخاتمته السعيدة، وأن يجعل مسيرته في خط أهل البيت عليهم السلام، فهم المعنيُّون بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، وهم المعنيُّون بالحديث النبوي الشريف: «إنّي مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»[2].

إنّ الطريق لا يزال مفتوحاً أمام الجميع، وباب التوبة بعد لما يوصد، ورحمة الله قريبة من المحسنين ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) قال الشيخ المظفري: إن طرقه ـ رواة الحديث ـ بلغوا مائتين وخمسين طريقاً. كتابه(الثقلان) ص١٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

جون مولىٰ أبي ذر الغفاري

رضوان الله عليهما

الإهداء

إلى الصحابي العظيم أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه.

سيدي:

يشرّفني أن أرفع هذا الكتاب إليك، مستعرضاً فيه حياة تلميذ من تلاميذك، وخرِّيج من خرِّيجي مدرستك، ومجاهد علّمته مقارعة الظالمين، وكلِّي أمل أن يحظىٰ منك بالقبول.

عبدك

علي محمّد علي دخيّل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

وواقعة كربلاء ملأت التاريخ، واستأثرت بقسم كبير من صفحاته الغرّاء وحق لها ذلك، فالبشرية بعمرها الطويل لم تشهد لها مثيلاً.

وسبق لي شرف الكتابة عنها، وجئت اليوم لأسجّل جوانب منها، مستعرضاً حياة بعض أبطالها الخالدين.

وهذا الكتاب ترجمة مختصرة لحياة جون مولى أبي ذر الغفاري رضوان الله عليهما.

شهد جون يوم عاشوراء، وقد أذن له عليه السلام بالانصراف، فأبىٰ، وناهيك بذلك إيماناً، وبطولة.

لا غرو أن يكون كذلك بعد أن تخرّج من مدرسة الصحابي العظيم أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه، وقد لقّنه حب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

إنّ الغرض من استعراض حياة هذا الشهيد هو السير نحو المثل العليا التي مضى عليها، وتبني النهج القويم الذي انتهجه، والسلوك في طريق الحق الذي سار عليه.

وبغير هذا، وذاك تكون هذه الوريقات أشغال لي ولك لا طائل منه، ومن الله التوفيق، والتسديد.

الشهيد في سطور

* أبوه: حوي.

* اشتراه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ووهبه لأبي ذر الغفاري رضوان الله عليه.

* رجع إلى الحسن والحسين عليهما السلام بعد وفاة أبي ذر رضوان الله عليه.

* أذن له الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بالانصراف فأبى.

* قاتل يوم عاشوراء قتالاً عظيماً، فقتل خمسة وعشرين رجلاً، ثم استشهد.

*مشى لمصرعه الحسين عليه السلام وأبّنه، ودعا له.

* استجاب الله دعاء الإمام الحسين عليه السلام فيه، فكان متميّزاً عن بقية الشهداء بطيب الرائحة. رضوان الله عليهم أجمعين.

أبو ذر الغفاري

دخل الناس في دين الإسلام وحداناً، وجماعات، وكلهم ـ عدا نفر من المنافقين ـ حسن إسلامهم، وربحت تجارتهم مع الله سبحانه، ولكن التاريخ الإسلامي سجّل بأسطر من نور حياة نفر قليل من أصحاب الرسول الأعظم ﷺ، كان لهم الأثر الكبير في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى؛ وعلى رأس هؤلاء أبو ذر الغفاري ـ ربع الإسلام ـ أي رابع داخل في الإسلام.

وليس شرفه في السابقة وحدها، فهناك جماعة من السابقين كانوا أسس النفاق، والشقاق في الأمة الإسلاميّة.

إن أبا ذر من الذين عنتهم الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

فهو من يوم إسلامه، وحتى يوم مماته لم ينفك عن العمل للإسلام، والجهر في نصرة الدين.

ومن مميّزات هذه الشخصية العملاقة هو التفاني في حب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، معتقداً أن وجودهم وجود للإسلام.

فعن عبد الله بن عبّاس قال: رأيت أبا ذر متعلّقاً بحلقة ببيت الله الحرام وهو يقول: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته باسمي.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

أنا جندب الربذيّ، أبو ذر الغفاري، إنّي رأيت رسول الله ﷺ في العام الماضي وهو آخذ بهذه الحلقة وهو يقول: أيها الناس لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصلّيتم حتىٰ تكونوا كالحنايا، ودعوتم حتى تقطّعوا إرباً إرباً، ثم أبغضتم علي بن أبي طالب أكبّكم الله في النار؛ قم يا أبا الحسن، فضع خمسك في خمسي ـ يعني كفّك في كفّي ـ فإن الله اختارني وإيّاك من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، فمن قطع فرعها أكبّه الله على وجهه في النار، علي سيّد المسلمين، وإمام المتقين، يقتل الناكثين، والمارقين، والجاحدين، علي منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي[1].

وعن أبي رافع مولىٰ أبي ذر قال: صعد أبو ذر رضي الله عنه على درجة الكعبة حتى أخذ بحلقة الباب، ثم أسند ظهره إليه فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما مثل أهل بيتي في هذه الأمة كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها هلك، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: إجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإنّ الجسد لا يهتدي إلّا بالرأس، ولا يهتدي الرأس إلّا بالعينين[2].

إن الحديث طويل عن هذا المجاهد العظيم، وتفانيه في حب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وقد ألّفت في سيرته الغرّاء الكتب الكثيرة.

وكيف ما كان، فقد ورّث أبو ذر مولاه حب آل محمّد ﷺ، والنصرة لهم، والدفاع عنهم، فأكرم بذلك من ميراث.

---

(١) كنز الفوائد: ص٢٨٢.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص٣٠٧.

أنت في إذن منّي

للحسين عليه السلام إذن عام لأصحابه بالانصراف، فقد خطبهم ليلة عاشوراء قائلاً: أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر، ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً؛ ألا وإنّي أظن أن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم منّي ذمام. هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً[1].

وسبق هذا الإذن خطابه عليه السلام في (زبالة): بسم الله الرحمٰن الرحيم. أما بعد، أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، في غير حرج[2].

وأجابه أصحابه، وأهل بيته جميعاً بالرفض، والإصرار على الشهادة بين يديه.

وله عليه السلام إذن خاص لبعض أصحابه بالانصراف، فهو يقول لبشر بن عمرو الحضرمي وقد بلغه أن ابنه أسر في ثغر الري: رحمك الله، أنت في حلّ من بيعتي، فاْذهب، واعمل في فكاك ابنك.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٢٣٨.
(٢) الإرشاد: ص٢٢٣.

ويجيبه رضوان الله عليه: أكلتني السباع حيّاً إن أنا فارقتك يا أبا عبد الله[١].

وأذن عليه السلام لجون بالانصراف قائلاً: أنت في إذن منّي، فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتلِ بطريقنا.

ويجيبه رحمه الله: يا ابن رسول الله، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، والله إن ريحي لنتن، وإن حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة، فتطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضّ وجهي، لا والله لا أفارقكم حتي يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم[٢].

إن تاريخنا الطويل، يندر فيه مثل هذا المشهد البطولي الرائع، فهبه جاء ناصراً للحسين عليه السلام، معتقداً أنّ التخلّف عنه ضلال، فما باله يصرُّ على الموت بين يديه وقد أذن له بالانصراف؟!

إنّ هذا التصميم على الشهادة لم يذكره التاريخ لأحد سوى أصحاب الحسين عليه السلام.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[٣].

---

(١) إبصار العين: ص١٢٤.
(٢) اللهوف: ص٤٦. وبقية كتب المقاتل.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

الشهادة

لقد منع الحسين عليه السلام مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه أن يرمي شمر ابن ذي الجوشن بعد أن تجاوز الأدب في ردّه على الحسين عليه السلام، فهو يقول له: أكره أن أبدأهم في القتال[١].

ونفذ صبر ابن سعد من خطب الحسين عليه السلام وأصحابه، وخشي أن يهيمن الحسين عليه السلام على الجيش بخطبه وخطب أصحابه رضوان الله عليهم، فتقدّم نحو عسكر الحسين عليه السلام، ورمىٰ بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمىٰ؛ ثم رمى الناس، فلم يبق من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلّا أصابه من سهامهم، فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا ـ رحمكم الله ـ إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم.

فحمل أصحابه حملة واحدة، واقتتلوا ساعة فما انجلت الغبرة إلّا عن خمسين صريعاً[٢].

وبعد هذه المعركة الجماعية أخذ أصحاب الحسين عليه السلام يبرزون وحداناً، أو على شكل مجموعات صغيرة. وخرج جون يستأذن الحسين[٣] فأذن له فحمل وهو يقول:

---

(١) إبصار العين: ص٣٥. وبقية كتب المقاتل.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٩٣. وبقية كتب المقاتل.

(٣) لاحظ الفصل السابق.

كيف ترى الفجّار ضرب الأسود   بالمشرفي القاطع المهنّد
أحمي الخيار من بني محمّد   أذبّ عنهم باللسان واليد
أرجو بذاك الفوز عند المورد   من الإله الواحد الموحّد[(١)]

فقتل خمساً وعشرين، ثم تعطّفوا عليه فقتلوه.

وقف عليه الحسين عليه السلام وهو يقول: اللَّهمَّ بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع محمّد صلى الله عليه وآله، وعرّف بينه، وبين آل محمّد عليهم السلام[(٢)].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج٢، ص١٩. وبقية كتب المقاتل.
(٢) يوم الحسين عليه السلام: ٥٣. وبقية كتب المقاتل.

استجابة الدعاء

سجّلت في سلسلة أئمتنا استجابة الدعاء لكل واحد من الأئمَّة عليهم الصلاة والسلام، وهي من مزاياهم الكثيرة التي وهبهم المولىٰ جلّ شأنه إيّاها، وأتحفهم بها.

وللإمام الحسين عليه السلام دعوات في يوم عاشوراء ذكرها أهل التاريخ والمقاتل[١] كان منها دعاءه عند مصرع جون رضوان الله عليه: اللّهمَّ بيّض وجهه، وطيِّب ريحه، . . . إلخ.

وقالوا: فكان من يمرّ بالمعركة يشم منه رائحة أذكى من المسك[٢].

وخليق برجل يجود بنفسه طاعة لله سبحانه، ورغبة بما عنده، أن يكرمه جلّ شأنه بهذه الكرامة، ويتحفه بهذه المكرمة، مع ما أعدّ له من النعيم الدائم، والحياة الباقية.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣].

---

(١) انظر كتاب (أئمتنا) للمؤلف.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٣١٣. إبصار العين: ص١٢٧ وبقية كتب المقاتل.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

كلمات العلماء والعظماء

إن التاريخ لينحني إجلالاً أمام هذا العظيم الفذّ، المستشهد في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، ونصرة الدين الحنيف، وجهاد الظالمين.

إنّ ممّا يزيد في رفعة هذا المجاهد العظيم إذن سيد الشهداء عليه السلام له بالانصراف بعد أن عاين الموت، وشاهد إخوانه صرعى؛ ومثل هذا المشهد يزيغ الأبصار، ويبلغ بالقلوب لدى الحناجر، ولكنّه رضوان الله عليه يصر على نيل الشهادة، واللحوق بإخوانه الأبرار رضوان الله عليهم أجمعين. فهو بعد هذا، وذاك خليق بالإكبار، جدير بالتعظيم، حَرِيٌّ بالتبجيل. وهذه الكلمات إشادة لموقفه المشرّف في ذلك اليوم العصيب:

١ ـ قال الإمام المهدي عليه السلام في زيارة الناحية:

السلام على جون بن حوي مولىٰ أبي ذر الغفاري[١].

٢ ـ قال أبو القاسم النراقي:

جون مولىٰ أبي ذر الغفاري: من حواريِّي الحسين عليه السلام، قتل معه بكربلاء[٢].

٣ ـ قال الفتوني:

كان جون منضمّاً إلىٰ أهل البيت عليهم السلام بعد أبي ذر رضي الله عنه، فكان

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٢) شعب المقال: ص١٨٥.

مع الحسن بن علي عليه السلام، ثم انضمّ إلى الحسين عليه السلام وصحبه في سفره إلى مكة، ثم إلى العراق[١].

٤ ـ قال الشيخ عبد الله المامقاني:

بعد كلام طويل: وأي عدل أعظم منه رتبة، وأعلى منه درجة[٢].

٥ ـ قال الشيخ محمّد علي الزهيري بعد ذكره لكلام جون مع الحسين عليه السلام: إن روح الإيمان إذا حلّ في النفس سواء كان شريفاً، أو وضيعاً، عبداً، أو حرّاً، ذكراً، أو أنثى، عربيّاً، أو أعجميّاً، مسلماً، أو نصرانيّاً، فإنّه لا يبالي بما يلاقي من الأذىٰ، والمكروه في سبيل الدين[٣].

٦ ـ قال باقر شريف القرشي: وجون من أفذاذ الإسلام، وهو مولى لأبي ذر الغفاري، وكان شيخاً كبيراً قد أترعت نفسه الشريفة بالتقوى، والإيمان[٤].

---

(١) ذخيرة الدارين: ٢١٨ عن كتاب ضياء العالمين.
(٢) تنقيح المقال: ج١، ص٢٣٨.
(٣) المعارف الإسلاميّة: ج١، ص٣٥٥.
(٤) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج٣، ص٢٢٩.

نهاية المطاف

وهذه الصفحات جانب صغير من مأساة كربلاء، وصفحة خالدة في تاريخ الجهاد، والتفاني في سبيل الحق، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، وهي صورة من صور الإيمان، والاستقامة، والثبات على المبدأ الحق في أحرج لحظة، وهي وإن أدّى رضوان الله عليه ثمنها غالياً ولكنّها السعادة الأبديّة، والنعيم الدائم، ومجاورة الرسول الأعظمﷺ في الجنان، أضف إلى ذلك الذكر الحسن، والخلود، فقد سطر التاريخ موقفه النبيل بأحرف من نور.

لقد أصبح جون رضوان الله عليه وإخوانه الشهداء نبراساً، وعلماً للمهتدين، وقبساً منيراً للمصلحين، وقدوة خيّرة للأبرار.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وأخيراً

لقد قُتل أصحاب الحسين عليه السلام، وأيضاً قُتل جلّ جيش ابن زياد، إنّ من يقرأ كتاب (نور العين في مشهد الحسين عليه السلام) يخرج بأنّ الحسين عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام، وأنصاره رضوان الله عليهم أجمعين، قتلوا الألوف المؤلّفة من جيش الكوفة، والبقية منهم تتبّعهم المختار بن أبي عبيدة الثقفي رضوان الله عليه فلم يدع منهم أحداً.

وقد أشار الحسين عليه السلام في خطابه الذي ألقاه في جيش الكوفة: «والله لا يدع أحداً منهم إلّا انتقم لي منه، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي»[1].

وأيضاً لا يوجد في الدنيا أحد يشكّ في أن أصحاب الحسين عليه السلام في أعلى درجات النعيم، وأن أعداءهم في أسفل درك من الجحيم.

أضف إلى ذلك الذكر الحسن الذي أبقاه ـ جلَّ جلاله ـ للحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، وأنصاره، الذي من مصاديقه: في كل يوم لا يقلّ زوّارهم عن ربع مليون مسلم من مشارق الأرض ومغاربها، وبلغ عدد زوّارهم في الأربعين أكثر من عشرة ملايين زائراً، أضف إلى ذلك آلاف الكتب التي أُلِّفت فيهم سلام الله عليهم أجمعين، وما لا يمكن إحصاءه من الشعر بجميع لغات العالم.

وأيضاً أبقى ـ جلّ جلاله ـ الذكر السيّئ لأعدائهم، واللعن الدائم لهم من جميع المسلمين.

---

(١) يوم الحسين عليه السلام: ٢٨ وجميع كتب المقاتل.

لمحات وضّاءة أخرى

إنّ كل حياتهم رضوان الله عليهم وضّاءة، تنير الطريق للسالكين، وتهدي إلى الطريق المستقيم، نسجّل منها :

١ ـ عبد الله بن عمير الكلبي

خرج يسار مولى زياد بن أبيه، وسالم مولى عبيد الله بن زياد، يطلبان المبارزة؛ فوثب حبيب بن مظاهر، وبرير بن خضير، فلم يأذن لهما الحسين عليه السلام، فقام عبد الله بن عمير الكلبي ـ أبو وهب ـ فقال: أبا عبد الله ـ رحمك الله إئذن لي لأخرج إليهما.

وكان عبد الله رجلا آدم طوالاً، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فأذن له الحسين عليه السلام وقال: إنيّ أحسبه للأقران قتّالا.

خرج عبد الله إليهما، فسألاه: من أنت؟

فانتسب إليهما، فقالا: لا نعرفك، ليخرج إلينا زهير أو حبيب أو بُرير، فحمل عبد الله على يسار وهو يقول: يابن الزانية، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس، أو يخرج إليك أحد من الناس إلّا وهو خير منك، ثم ضربه بسيفه حتى برد، وبينما هو مشتغل بن، إذ شدّ عليه سالم، فصاح أصحاب الحسين عليه السلام: قد رهقك العبد، فلم يعبأ به، واتقى ضربته بيده اليسرى فأطار أصابعه، ثم مال عليه عبد الله فقتله، ثم أقبل يريد الحسين عليه السلام وهو يرتجز! وقد قتلهما معاً:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... حسبي ببيتي في عُليم حسبي

إنّي امرؤ ذو مرّة وعضب ... ولست بالخوار عند الحرب

إني زعيم لك أم وهب ... بالطعن فيهم مقدماً والضرب

وإذا بزوجته ـ أم وهب ـ تحمل عموداً وقد أقبلت نحوه، وهي تقول:

فداك أبي وأمّي؛ قاتل دون الطيّبين ذريّة محمد صلى الله عليه وآله، فأراد أن يردّها إلى الخيمة فلم تطاوعه، وأخذت تجاذبه ثوبه وهي تقول: لن أدعك دون أن أموت معك، وإن يده سدكت على السيف، ويساره مقطوعة أصابعها، لم يتمكّن من ردّها، فجاء إليها الحسين عليه السلام وقال: جُزيتم من أهل بيت نبيّكم خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهنّ، فإنّه ليس على النساء قتال[١].

(١) يوم الحسين عليه السلام للمؤلف؛ وجميع كتب المقاتل.

الشهادة

وحملت الميسرة والميمنة والخيل والرجال على أصحاب الحسين عليه السلام حملة واحدة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فثبت لهم أصحاب الحسين عليه السلام وطاعنوهم حتى كشفوهم، وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي، فقتل تسعة عشر فارساً، وأثني عشر راجلاً، ثم شدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكير بن حي ساقه، وأخذ أسيراً، وقُتل صبراً.

ومشت إليه زوجته (أم وهب) فجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنّة، أسأل الله الذي رزقك الجنّة أن يصحبني معك.

فقال الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها، وهي أوّل امرأة قُتلت من أصحاب الحسين عليه السلام ثم قُطع رأس عبد الله ورمي به نحو الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه، ومسحت الدم عنه، ثم أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء، فردّها الحسين عليه السلام وهو يقول: جُزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء، فرجعت وهي تقول: اللهمّ لا تقطع رجائي، فقال الحسين عليه السلام: لا يقطع الله رجاك[1].

---

(١) يوم الحسين عليه السلام، وجميع كتب المقاتل.

٢ ـ برير بن خضير الهمداني

وهو من علماء الكوفة وعبّادها، وكان أقرأ أهل زمانه، وكان يُقال له: سيِّد القرّاء.

حمل على القوم وهو يقول: اقتربوا منّي يا قتلة المؤمنين، اقتربوا منّي يا قتلة أولاد البدريين، اقتربوا منّي يا قتلة رسول ربِّ العالمين، وذرّيته الباقين.

فخرج إليه يزيد بن معقل ونادى: يا برير بن خضير كيف ترى صنع الله بك؟

قال: صنع الله بي والله خيراً، وصنع بك شرّاً.

فقال يزيد: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذّاباً، أتذكر وأنا أماشيك في سكة بني ذودان وأنت تقول: إنّ معاوية ضالّ مضلّ، وإنّ علي بن أبي طالب إمام الحق والهدى؟

فقال برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي.

فقال يزيد: فإنّي أشهد أنّك من الضالين.

فقال برير: فهل لك أن أباهلك، وندع الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المُحقّ المُبطل، ثم برز كل واحد لصاحبه، فضرب برير يزيد ضربة قدّت المغفر وبلغت الدماغ، فخرّ فكأنّما هوى من شاهق، وإن سيف برير ثابت في رأسه ينضضه من رأسه ويقول:

أنـــا بـــريـــر وأبـــي خـــضـــيـــر وكـــل خـــيـــر فـــلـــه بـــريـــر

ثم حمل على القوم يقاتلهم قتال الأبطال، فشدّ عليه رضي بن منقذ العبدي، فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة، ثم أنّ بُريراً صرعه، وقعد على صدره، فصاح رضي بأصحابه: أين أهل المصارع والدفاع؟ فذهب كعب بن جابر ليحمل عليه، فصاح به عفيف بن زهير بن أبي الأخنس: إنّ هذا برير بن خضير القارئ، الذي كان يُقرئنا القرآن في المسجد، فلم يلتفت، وحمل عليه برمحه، وطعنه في ظهره، فلما وجد برير مسّ الرمح برك على رضي فعضّ أنفه حتى قطعه، وأنفذ كعب رمحه في ظهر برير حتى ألقاه عنه، ثم أقبل يضربه بسيفه حتى استُشهد رضوان الله عليه[1].

---

(١) يوم الحسين عليه السلام للمؤلف؛ وجميع كتب المقاتل.

٣ ـ أبو ثمامة الصائدي

التفت أبو ثمامة رضوان الله عليه إلى الشمس وقد زالت، فقال للحسين عليه السلام: نفسي لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصلّي لربّنا.

انظروا رحمكم الله إلى اهتمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين بالصلاة، إنّ الصلاة عنوان صحيفة المؤمن، وأوّل أعمال ابن آدم ينظر فيه المولى سبحانه وتعالى، فإن قُبلت قُبلت بقية أعماله، وإن رُدّت ردّت عليه أعماله.

إن قُبلت تُقبل بها الأعمال ... وإن تُردّ رُدَّ كل ما عُمل

وبعد الصلاة خرج أبو ثمامة وهو يقول:

عزاء لآل المصطفى وبناته ... على حبس خير الناس سبط محمد
عزاء لزهراء النبي وزوجها ... خزانة علم الله من بعد أحمد
عزاء لأهل الشرق والغرب كلهم ... وحزناً على جيش الحسين المبدّد
فمن مبلّغ عنّي النبيَّ وبنته ... بأن ابنكم في مجهد أي مجهد

فقاتل قتالاً شديداً، ولما أثخن بالجراح شدّ عليه ابن عمّ له يعاديه، يُقال له قيس بن عبد الله فقتله[١].

---

(١) يوم الحسين عليه السلام للمؤلف؛ وجميع كتب المقاتل.

٤ ـ واضح التركي

وخرج واضح التركي، مولى الحرث المذحجي وهو يرتجز:

البحر من ضربي وطعني يصطلي والجوّ من عثير نقعي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المبجّل[١]

فقاتل قتالاً شديداً، وقتل سبعين رجلاً، ثم صُرع، فاستغاث بالحسين عليه السلام فاعتنقه، فقال: من مثلي وابن رسول الله واضع خدّه على خدّي، ثم فاضت نفسه الطاهرة رضوان الله عليه[٢].

---

(١) البجل: البهتان.

(٢) يوم الحسين عليه السلام للمؤلف؛ وجميع كتب المقاتل.

٥ ـ أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي

وهو من صحابة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، شهد معه بدراً وحُنيناً، وقف أمام الحسين عليه السلام، شادّاً وسطه بالعمامة، رافعاً حاجبيه بالعصابة، فلما نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى وقال" شكر الله سعيك يا شيخ.

حمل على القوم وهو يرتجز:

قد علمت كاهلها وذودان والخندفيون وقيس عيلان

بأن قومي آفة للأقران يا قوم كونوا كأسود خفّان

واستقبلوا القوم بضرب الآن آل علي شيعة الرحمان

وآل حرب شيعة الشيطان

فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً ثم قُتل رضوان الله عليه[1].

---

(١) يوم الحسين عليه السلام للمؤلف؛ وجميع كتب المقاتل.

٦ ـ عمرو بن جنادة الأنصاري

وأقبل عمرو بن جنادة ـ وعمره إحدى عشرة سنة ـ يستأذن الحسين عليه السلام فلم يأذن له، وأعاد عليه الاستئذان والحسين عليه السلام يقول: هذا غُلام قُتل أبوه في المعركة، ولعلّ أمه تكره ذلك.

فقال الغلام: إنّ أمّي التي أمرتني بذلك.

فأذن له الحسين عليه السلام، فحمل وهو يرتجز:

أميري حسين ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى ... له غرّة مثل بدر منير

فقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه، ورُمي برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه، ومسحت الدم عنه، وضربت به رجلاً قريباً منها، ثم عادت إلى المخيّم فأخذت عموداً وركضت نحو القوم وهي ترتجز:

إنّي عجوز في النساء ضعيفهْ ... خاوية بالية نحيفهْ
أضربكم بضربة عنيفهْ ... دون بني فاطمة الشريفهْ

فردّها الحسين عليه السلام إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين[1].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[2].

---

(١) يوم الحسين عليه السلام للمؤلف؛ وجميع كتب المقاتل.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

الفهرس

مسلم بن عوسجة الأسدي
رضوان الله عليه

جنادة بن كعب الأنصاري
رضوان اللّه عليه

عابس بن أبي شبيب الشاكري
رضوان الله عليه

زهير بن القين البجلي
رضوان الله عليه

الحرّ بن يزيد الرياحي
رضوان اللّٰه عليه

جون مولى أبي ذر الغفاري
رضوان الله عليهما

لمحات وضّاءة أخرى